سلسلة الثقافة الإسلامية ﴿٦٦﴾



الشيخ محمد مهدي الآصفي

مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات
الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

اسم الكتاب: .... التحديات الثلاثة الكبرى في عصرنا
المؤلف:.. محمّد مهدي الآصفي
تاريخ الطبع: .... ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠م
الكمية.. ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: ..... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الـم * أَحَـسِبَ النَّـاسُ أَن يُتْرَكُـوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَـدْ فَتَنَّـا الَّذِينَ مِن قَـبْلِهِمْ فَلَـيَعْلَمَنَّ اللَّـهُ الَّـذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾

العنكبوت: ١ ـ ٣

التحديات الثلاث الكبرى في عصرنا

١. الاحتلال

لقد تجاوز العالم الإسلامي عصر الغزو العسكري المباشر بعد مصيبة ومعاناة طويلة لهذه الأمة مع الغزو العسكري الكافر، وعانت منها هذه الأمة طويلاً وكافحته بعناء وعذاب، فغيّر المحتل الكافر منهجه وتطورت أساليب الاستعمار لدول الاستكبار العالمي في المنطقة الإسلامية من الاحتلال العسكري المشهود إلى الاحتلال اللامرئي من خلال السيطرة على مفاصل القرار السياسي والاقتصادي والعسكري في هذه البلاد، ومن خلال الأنظمة الحاكمة التي كانت تقوم بتنفيذ سياسات دول الاستكبار العالمي الغربية والشرقية من خلال آليات سياسية واقتصادية معقدة تؤدي إلى هذه النتيجة بعلم وإرادة من هذه الأنظمة.

ولم تبق في العالم الإسلامي منطقة خاضعة للغزو العسكري المباشر غير المناطق المحتلة عسكرياً من قبل إسرائيل من الأراضي الفلسطينية والسورية واللبنانية. التي لا تزال خاضعة

للغزو الصهيوني المباشر.

غير أن سقوط الاتحاد السوفيتي غّير أسلوب تعامل الولايات المتحدة مع المنطقة الإسلامية بصورة كاملة. فقد كان سقوط الاتحاد السوفيتي في نهاية القرن الميلادي السابق أحد وجهي القضية، والوجه الآخر لها هو ظهور النظام الوحداني الأمريكي مقابل النظام ألتعددي ذي القطبين في القرن الذي مضى.

وهذا النظام لم يتم إقراره من قبل أي مؤسسة دولية، أو نظام من أنظمة العالم غير أن الولايات المتحدة الأمريكية اعتبرت هذه النقطة من الأُسس الثابتة الإستراتيجية في تعاملها مع العالم.

والتأثير المباشر والواضح الذي تركه هذا التحول العالمي إلى النظام الوحداني هو في طريقة تعامل الولايات المتحدة مع الدول والأنظمة التي كانت تدخل سابقاً في دائرة العالم الثالث.

لقد كان النظامان الاستكباريان يتباريان في كسب صداقة وعمالة هذه الأنظمة من قبل.. وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي وخلو الساحة العالمية من قوة أخرى منافسة للولايات المتحدة الأمريكية تحولت الولايات المتحدة من سياسة كسب الأصدقاء والعملاء في العالم إلى سياسة جديدة تماماً تتلخص في ممارسة النفوذ والقيمومة على هذا الشطر من العالم.. وإذا واجهت مقاومة

من ناحية الشعوب والأنظمة فإنها تلجأ إلى التهديد باستعمال القوة، أو استخدام نفوذها الواسع على الأمم المتحدة ومجلس الأمن لممارسة الضغط على هذه الدول، بهدف إجبارها على المطاوعة.

وكان من مظاهر هذه التوجه السياسي الجديد للولايات المتحدة استخدام العصا الغليظة والتهديد في تنفيذ سياستها في المنطقة.

ومن الشواهد على ذلك إسقاط الطائرة المدنية الإيرانية في مياه الخليج لإجبار إيران على إنهاء الحرب بشروط مجلس الأمن الظالمة وضرب معامل صناعة الكيمياويات في السودان وضرب ليبيا، وهلّم جرّا.

وكان من مظاهر هذه التوجه السياسي الجديد للولايات المتحدة استخدام مجلس الأمن لتنفيذ سياساتها في المنطقة وبلغ من قوة تأثير النفوذ الأمريكي على مجلس الأمن أن قرارات مجلس الأمن كانت تُعدّ قبل أن تطرح في مجلس الأمن في مواقع القرار الأمريكي.. فكانت أمريكا تهدد بمجلس الأمن، كلما تحتاج إلى ذلك، وتستحصل ما تحتاجه من القرارات الدولية من مجلس الأمن كما لو كان قراراً أمريكياً.

ومن جهة أخرى تلغي ما لا ينسجم مع سياساتها العامة والخاصة في المنطقة من قرارات مجلس الأمن كما ألغت طائفة من القرارات التي تدين إسرائيل في عدوانها المتكرر على العالم الإسلامي.

وما لم تلغه أمريكا ـ كانت إسرائيل تعطّله عملياً بضمانات وحماية أمريكية.

ولم تعد لقرارات مجلس الأمن استقلالية عن القرار الأمريكي.. وأصبح الانضمام إلى المؤسسة الدولية (العولمة السياسية) بمعنى الدخول في دائرة نفوذ القرار الأمريكي.

ومن مظاهر هذا التوجه السياسي الجديد للولايات المتحدة الانفراد بالوضع الدولي في المنطقة الإسلامية، وممارسة القيمومة السياسية على العالم الإسلامي، عبر المحيطات.

وآخر ما شاهدنا من هذه الممارسة للقيمومة السياسية على بلادنا إجبار سورية على إخراج قواتها العسكرية من لبنان، واضطرار سورية لقبول الضغوط الأمريكية بهذا الشأن والنصيحة التي أسداها حكام العرب للقيادة السورية بالإسراع في تنفيذ المطالب الأمريكية بخصوص إخراج قواتها من الأراضي اللبنانية، قبل أن تنفذ أمريكا تهديداتها في سوريّة.

رغم وجود القوات الإسرائيلية على الأراضي السورية في الجولان السورية وعلى مزارع شبعا، رغم كل قرارات مجلس الأمن.

إن الولايات المتحدة تمارس هذه القيمومة على العالم الإسلامي من موقع الاستعلاء والاستكبار السياسي، ولا يجد حكام العرب سبيلاً لرفض القرارات الأمريكية. أو التوقف في قبولها.

وأمريكا لا تزال إلى هذه الساعة لم تعلن رضاها عن القيادة السورية، رغم الانسحاب السوري المعلن عن لبنان، وقد مارست أمريكا ضغطاً عالياً على نظام عربي لقبول الإدانة في حادث سقوط الطائرة الأمريكية في سماء أوربا، وتسديد قيمة دية قتلاها بالمليارات من الدولار وليس بالملايين، ووافق هذا النظام أخيراً على تسديد هذه المليارات (لا اذكر الرقم الدقيق) من بيت مال المسلمين لأمريكا ثمناً لكسب رضاها وودّها، وجياع المسلمين في الهند وبنغلادش وأفغانستان وغيرها بحاجة إلى كل دولار من هذه المليارات التي بذلها هذا الحاكم العربي ثمناً لسكوت أمريكا وكسب ودّها.

وليس هناك من يحاسب هذا الحاكم أو ذاك عن هذه

المليارات التي ينفقونها لأمريكا بسخاء.

ولست أعرف ما يكون جوابهم عند الله؟ ولست أعرف إن كانوا يعرفون الله أم لا؟ وإنّ امرءاً يعرف الله لا يبذّر في أموال المسلمين بهذه الطريقة.

ومن مظاهر هذا التوجه السياسي الجديد (الاحتلال العسكري) للعالم الإسلامي.. والإحتلال العسكري يعني العودة إلى الحالات البدائية الأولى بعد الحرب العالمية الأولى للغزو العسكري ـ وهي حالة عسكرية ـ سياسية تجاوزها الزمن ـ في علاقة الدول الكبرى بالدول الضعيفة، تستعيدها أمريكا اليوم من جديد.

ولست أدري كيف تحاول أمريكا أن تنظم علاقاتها بالعالم الإسلامي بهذه العقلية التي تجاوزها الزمن منذ عهد طويل.

ومن أبرز المشاهد السياسية العسكرية لهذه الحالة: الغزو العسكري الأمريكي لأفغانستان والعراق. والحبل على الجرّار. وأمريكا غير عابئة بالاستنكار الواسع الذي أشهره الرأي العام العالمي لهذا الغزو العسكري لكل من العراق وأفغانستان. فقد واجه الضمير العالمي هذه الحالة الأخيرة باستنكار شامل وواسع في مسيرات بشرية حاشدة، في مختلف البلدان، حتى في أمريكا

نفسها.. فقد أدرك الرأي العام العالمي أن الولايات المتحدة تدفع العالم إلى حافة حرب كونية ثالثة.

وتتجاوز أمريكا المؤسسة الدولية إذا تباطأت عن الاستجابة لمطالبها، وتتصرف في الشأن الدولي، كما تتصرف في شؤونها الداخلية من موقع القيمومة و الولاية، من دون انتظار لقرار مجلس الأمن.

وإذا كانت (العولمة) هي آخر مراحل الاستعمار فإن (الإحتلال) هو عودة إلى الأساليب القديمة للتعامل بين دول الاستكبار العالمي والدول الصغيرة والضعيفة.

إنا لم أعش في أفغانستان ـ ولكنني عشت في العراق في ظل الاحتلال ـ ووجدت كيف يضرب الجندي الأمريكي بهراوته عضو الجمعية الوطنية، ويرديه أرضاً، ولا أحد يجرؤ أن يتدخل في إنقاذه من تحت أقدامه.

ووجدت كيف ينزل السائق العراقي إلى الحافة الترابية من الجادة ويتوقف عن السير عندما تتقدم الارتال الأمريكية في الجادة، وكيف يداهم الأمريكان بيوت الناس ويعتقلون الناس من داخل بيوتهم ويلقونهم في السجون ولا يحق لأحد أن يسأل عن مصيرهم، وكيف يسحبون الرجال من بيوتهم بمرأى ومسمع

من النساء والأطفال...

وقد أدى الصراع بين المؤسسة الاستخباراتية الأمريكية ووزارة الدفاع إلى إنكشاف طرف بسيط فقط من تعامل الأمريكان مع العراقيين في سجن "أبو غريب".

إن هذه المشاهد التي يشاهدها العراقيون كل يوم وشاهد العالم طرفاً منها على شاشات التلفزيون يشعر الإنسان المسلم عراقياً كان أم غير عراقي بالهوان.

وأخطر ما في هذه المشاهد أن ينطبع الجمهور بهذه المشاهد بالتدريج فينفقد الإحساس بالهوان ويفقد معه حالة الرفض والمقاومة.

والذي يجري في أفغانستان كالذي يجري في العراق، أن لم يكن أسوء منه.

إن الاحتلال العسكري أصبح حالة منسوخة عالمياً بعد الحرب العالمية الثانية بالتدريج، إلا أن قيام النظام العالمي الوحداني، القائم على القطب الواحد أعاد حالة الاحتلال العسكري مرة ثانية إلى العلاقات الدولية في العالم.

إنّ الأعلام السياسي الأمريكي يعلن أن رحيل القوات العسكرية الأمريكية والمتعددة الجنسية يتوقف على قدرة

وكفاءة القوات الأمنية العراقية على ضبط الأمن.

إلاّ أن هذه المعادلة الإعلامية معادلة وهميّة، الغاية منها إخفاء الأهداف والأطماع الأمريكية في العراق.

والمعادلة الحقيقية التي يخفيها الأمريكان، من وراء هذه المعادلة الإعلامية الوهمية.. هي أن القوات الأمريكية والمتعددة الجنسية تبقى في العراق على مرأى ومشهد من الناس حتى يتم للأمريكان إحكام القبضة السياسية والاقتصادية على مواقع النفوذ السياسي والاقتصادي في العراق.

فإذا تم لهم ذلك، وتمكّنوا من المفاصل السياسية والإدارية والاقتصادية في العراق، فلا حاجة عندئذ إلى إبقاء القوات المسلحة الأمريكية والمتعددة بمرأى ومسمع من الناس، في الشوارع وداخل المدن، وفي الطرق الخارجية ما بين المدن.

فإن الأمريكان يفهمون جيداً أن مشهد حضور القوات المسلحة في الشوارع والطرق الخارجية يستفزّ الناس ويثيرهم و ليس من سبب عقلاني لاستفزاز الناس، وإذا أمكن استبدال هذا الحضور العسكري بحضور أقوى منه في المفاصل السياسية والاقتصادية والإدارية في البلد.

إن المهم عند الأمريكان هو السيطرة السياسية والاقتصادية

وهذه السيطرة يمكن تحقيقها بطريقة ذكية لا تثير الناس ولا تستفزهم.

إن بإمكاننا أن نفهم الأمريكان، نقرأ العقل الأمريكي المحتل لنعرف كيف يفكر الأمريكان؟ وما هي المعادلات السياسية التجارية التي تستحوذ على العقل الأمريكي في احتلال العراق؟

فقد كلف احتلال العراق الأمريكان كثيراً من المال والدم، ولا يمكن أن تقدم أمريكا كل هذه الأموال والدماء من غير احتساب دقيق، من نوع الحسابات التجارية، للأرباح المادية الكبيرة التي تجنيها أمريكا من وراء هذه الخسائر.

إن العقل الأمريكي عقل رياضي من نوع الحسابات التجارية يقيس كل شيء بالأرقام الرياضية، حتى الدم يحاسب بحسابات الدم المدفوعة إلى ورثة القتيل، والراتب الشهري الذي يقدم إلى عائلته من بعده.

وهذا التعويض المادي الذي تقدمه الدولة من الدم الأمريكي في العراق تعوضه الثروات الطائلة التي تجنيها أمريكا من العراق.

وهذه المعادلة هي التي أنكرها الأمريكيون أنفسهم في تظاهرات صاخبة في شوارع واشنطن ونيويورك، قبل احتلال العراق وعارضوا معادلة دماء أبنائهم بالنفط الذي يضخه ملوك

النفط في أمريكا.

نحن لا نرفض الحسابات والمعادلات التجارية ولا نرفض الرياضيات، ولكننا نعتقد أنه لا يجوز قياس كل شيء بالأرقام. إن لغة الأرقام لغة مفهومة إذا دخلت السوق، ولكنها لغة غريبة غير مفهومة في عالم القيم والأخلاق والعلاقة مع الله والعلاقات الإنسانية.

وخطأ الحضارة المادية المعاصرة أنها تقيس كل شيء بالأرقام والأعداد.

ومهما يكن من أمر فإننا نستطيع أن نقرأ العقل الأمريكي، ونفهم طريقة تفكيره.

وهذا هو الفرق بين عقل الاحتلال وعقل الإرهاب والتطرف... إن من الصعب جداً قراءة عقل الإرهاب وطريقة تفكيره وفهمه للمسائل الاجتماعية ومسائل الدين والدنيا.

فليس بوسع أي تحليل علمي أن يفهم كيف يفكر الانتحاري الذي يفجّر نفسه ليقتل جمعاً من الأطفال، في عمر الورود، وهو يعلم ذلك، ويقدم عليه عن علم وعمد... إن هذه العقلية غير خاضعة لأي تحليل ومنطق، ولا يمكن فهمها ضمن أي إطار... أقول: إن قراءة أولية لعقل الاحتلال توصلنا إلى نتيجة قطعية،

وهي أن الاحتلال لا ينوي أن يخرج من العراق... ولا يزال يفكر كيف يثبّت أقدامه فيه أكثر من ذي قبل؟ ويضمن مصالحه بطرق أمينة تحقق له أكثر ربح ممكن بأقل خسارة مادية، ولا يزال يفكر كيف يبسط نفوذه السياسي والاقتصادي والثقافي في هذا البلد؟

والنفوذ السياسي في عصرنا شيء أوسع من القوة العسكرية، إنه يشمل النفوذ الثقافي والسياسي والاقتصادي والإعلامي والعسكري... وهو معنى الهيمنة الاستكبارية. وهذه الهيمنة تشيع بالضرورة الفساد والإفساد. ولقد أدركت ملكة سبأ هذه الحقيقة بشكل جيد، عندما قالت لبطانتها: ﴿**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا**﴾.

إذن فإن مصيبتنا مع الاحتلال مصيبة طويلة لا تنتهي في وقت قريب... ومن السذاجة أن نصدّق بما يقوله الأمريكان، حتى عندما يتغير شكل الحضور والاحتلال الأمريكي عن الاحتلال المرئي والمثير إلى الاحتلال غير المرئي.

ولابدّ أن نعمل من الآن لإشاعة ثقافة المقاومة والتحضير الثقافي والإعداد والتخطيط الميداني للمقاومة، وهو لاشك عمل شاق وطويل وعسير.

ولقد كان وجود البعثيين في مواقع الحكم في العراق مصدراً لكثير من المآسي للعراق والعراقيين.. ومن أعظم هذه المآسي أنهم حضّروا وفتحوا الطريق لدخول الأمريكان إلى هذا البلد بكل عدتهم العسكرية والسياسية والإعلامية والمالية.

ومقاومة الاحتلال يحتاج إلى جهد إسلامي وطني شامل ينهض به كل مسلم في العراق شيعي وسني ومن منطلق التكليف الشرعي.

ويحتاج إلى استنهاض المسلمين في العالم الإسلامي لدعم وإسناد حالة المقاومة ورفض الاحتلال في العراق.

٢. الإرهاب والتطرف الديني

الإرهاب شبكة عالمية تمويلاً وتنظيماً وحركةً، وهذه الشبكة الحركية الواسعة تكشف عن وجود حالة واسعة من التعاطف والإسناد والتمويل لهذه الشبكة.

ولهذه الحركة خطاب سياسي قوي، وهو من الخطابات السياسية المعاصرة التي يحسب لها حساب خاص في موازين الخطابات السياسية المعاصرة كما يحسب لها حساب خاص ـ دولياً ـ في ميزان القوى وهذه نقاط إيجابية.

وأما السلب: فهي حركة غير مرئية ـ تتحرك تحت الأرض، بعيداً عن الرقابة العامة والنصح والنقد، ولذلك فهي معرضة دائماً لاختراقات أمنية وسياسية كثيرة، كما هي معرضة لتحريفات فكرية إسلامية ثقافياً وسياسياً ـ كما هي معرضة لتوجهات سياسية انفعالية وغير موضوعية.

ونحن نطمئن إلى النقطة الثانية ولا نستبعد النقطة الأولى

والدليل على ما نقول الحالة التكفيرية الغالبة على هذه الحركة، ورفض الغير، وعدم الاعتراف بالآخرين والحلول الانفعالية للمشاكل السياسية للعالم الإسلامي، وإندفاعها نحو الإرهاب غير المشروع، وإنما أقول: (الإرهاب غير المشروع) لأن في الإرهاب حالة مشروعة، يشير إليها تعالى في قوله: ﴿**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّه وَعَدُوَّكُمْ**﴾[1]، وفي الإرهاب حالة غير مشروعة، كالتي يمارسها هؤلاء في العراق وباكستان وأفغانستان في قتل الأبرياء وإثارة الفتن الطائفية.

ففي العراق مثلاً تجري حوادث كثيرة، لا تحصى من القتل والتخريب والذبح، وبشكل خاص في الأوساط الشيعية، وفي

(١) الأنفال: ٦٠.

مناسبات أهل البيت عليهم السلام من دون أي مجوز شرعي، من اجتهاد أو رأي من أراء فقهاء المسلمين، ويتم كل ذلك تحت عنوان تكفير المسلمين وإستباحة دمائهم.

ولا تنفي الحركة مسؤوليتها من هذه الأعمال.. بل تتبناها وتدافع عنها.

ويجري مثل ذلك في أفغانستان وباكستان من قتل المسلمين الشيعة وتخريب مساجدهم تحت عنوان التكفير وهو عمل عشوائي إنفعالي، لا يقوم على أساس علمي أو موضوعي، في أي مذهب أو رأي أو اجتهاد في مذاهب الفقه الإسلامي.

وهذا عمل يهدد بإشعال الفتنة الطائفية بين المسلمين التي لا تبقى ولا تذر على شيء، ويعرض للخطر كل الجهود التي يبذلها العلماء المصلحون من الفريقين لجمع الشمل، وإعادة الوئام والانسجام والتفاهم والتعاون إلى الصف الإسلامي.

وهذه حالة ثقافية خطيرة وفهم محرّف للإسلام، وإلغاء للنصوص الإسلامية الصحيحة والصريحة التي تحكم بعصمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، وتمنع من رميهم بالكفر ونفي صفة الإسلام عنهم. هذه عن النقطة الثانية.

ولا نستبعد النقطة الأولى ولا ننفي أن تكون هذه الحركة

السياسية مخترقة من قبل الأجهزة الأمنية للدول الكبرى.

فإن الفتن الطائفية التي تثيرها هذه الجماعة فيما بين المسلمين في العراق وأفغانستان وباكستان وسائر البلاد يخدم أهداف أعداء الإسلام بالتأكيد، ولا يرضيهم ولا يسرهم شيء كما يسرهم أن تشتعل نار الفتنة داخل الساحة الإسلامية.

ونحن نلمس في العراق أن القوات المتعددة الجنسية تفرق بين نوعين من الإرهاب بشكل واضح.

الإرهاب الذي يمسّهم والإرهاب الذي يمسّ الناس، فيواجهون النوع الأول من الإرهاب بقوة وعنف ويتغاضون عن النوع الثاني.

ولا ننس أن نقول أن هذه الحركة تقدّم اليوم صورة مشوّهة عن الإسلام، وليس الإسلام هو ما تعكسه هذه الحركة من خلال أعمال العنف والإرهاب في العالم، ولا ننفي نحن عن الإسلام استخدام القوة لإزالة الفتن وتقرير التوحيد والعدل على وجه الأرض، ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ**﴾[1]، إلا إن الممارسات الإرهابية التي تمارسها هذه الفئة تختلف

(١) البقرة:١٩٣.

اختلافاً واضحاً عن القوة التي يتبناها الإسلام ليحقّ الحق ويبطل الباطل على وجه الأرض.

إن العقل الذي يقود الإرهاب في العالم يصلح للإعاقة والإتعاب والاستهلاك، ولا يصلح للحكم. فلا يمكن أن يحكم العالم اليوم عقل كالذي كان يحكم في أفغانستان ـ والذي يقوم بأعمال التخريب والقتل في العراق وأفغانستان وباكستان.

إن الولايات المتحدة الأمريكية تقود اليوم حملة عالمية واسعة ضد الإرهاب، وترصد له المليارات من الدولارات لأنّ الإرهاب مسّها في عقر دارها، ولكننا نعتقد أن أمريكا سوف تفشل في مكافحة الإرهاب في العالم.

وذلك أن السياسات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية والأنظمة المرتبطة بها في العالم الإسلامي هي واحدة من أسباب ظهور الإرهاب في العالم.

إن سياسة الكيل بمكيالين في العالم الإسلامي، والتدخل من موقع القيمومة والولاية في شؤون المسلمين، وممارسة التهديد والتدخل العسكري، إذا اقتضى الأمر، من أسباب ظهور الإرهاب في العالم.

إن أمريكا تغض الطرف عن القوة النووية الهائلة لإسرائيل والتي تقدر بـ ٣٠٠ رأس نووي وتمارس ضغوطاً وتهديدات واسعة إعلامية وسياسية على إيران، لأنها تعمل للإستفادة من الطاقة النووية، بدل النفط، للاحتفاظ بالثروة النفطية للأجيال القادمة.

هذه السياسة (الكيل بمكيالين مختلفين في المنطقة الإسلامية) لا تخفى على أحد، ولا تملك الولايات المتحدة أي توجيه معقول لهذه السياسة اللامنطقية التي تمارسها بالقوة والإرهاب في منطقة الشرق الأوسط، وهي بالذات من أسباب ظهور الإرهاب في العالم.

أنا لست من دعاة بقاء الجيوش السورية في لبنان.. ولكن كلما أتصور التدخل الأمريكي الضاغط والمهين على سورية لتخرج قواتها عن الأراضي اللبنانية التي تتواجد فيها بطلب من الحكومة اللبنانية، أو شريحة واسعة من اللبنانيين على الأقل.. والى جوار سوريا تحتل الجيوش الإسرائيلية أراضي الجولان السورية و مزارع شبعا وأمريكا تغض الطرف عن هذه، وتمارس ضغوطاً عالمية وعربية، وتهديدات عسكرية على سوريا، لإجبارها على إخراج قواتها من الأرض السورية، وتضطر سوريا تحت طائلة

هذه الضغط الهائل إلى الخروج من لبنان... أقول كلما أتصور هذه المفارقة السياسية الواضحة في السياسة الأمريكية في المنطقة يصيبني إحساس بالهوان، والذي يصيبني من الإحساس بالهوان يصيب كل مسلم غيور على أرضه وأمته ودينه.

ولو كانت الدول العربية، أو الإسلامية، أو مؤتمرات القمة، أو مؤتمر الطائف، يمارس هذا الضغط على سوريا للانسحاب من لبنان لم تكن الساحة الإسلامية الواسعة تشعر بمثل هذا الهوان، والسخط والغضب.

إن هذه المفارقات السياسية والممارسات اللامنطقية في السياسة الخارجية تؤدي بصورة طبيعية إلى تلك الممارسات اللامعقولة في مواجهة السياسات الأمريكية والأنظمة المرتبطة بها في المنطقة.

إن اللامعقول يؤدي إلى اللامعقول.

إننا لا نحتاج إلى تفكير كثير لنكتشف من نهج السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط أن أمريكا تعتقد أن إيران وسورية لا تستحقان الحياة والعلم والتطور العلمي وامتلاك القدرات العلمية وإن إسرائيل وحدها تمتلك هذا الحق.

إن هذا المنطق اللامعقول يؤدي إلى ردود فعل لا معقولة

بالضرورة.

ومن الأفضل للولايات المتحدة في موقفها من الإرهاب أن تعيد النظر في سياساتها في المنطقة وفي العالم لعلاج ظاهرة الإرهاب. فإن هذه السياسات تنتج الإرهاب لا محالة إن كان في العالم الإسلامي أو خارجه.

إن من أسباب علاج هذه الظاهرة معالجة مسألة الاستبداد السياسي في طائفة من الأنظمة الحاكمة في المنطقة، ومعالجة مسألة الاحتلال في العراق وأفغانستان.

على أننا نرفض ـ بصورة قطعية ـ ظاهرة الإرهاب ـ ونعتقد أنها حركة إنفعالية غير راشدة تحتاج إلى كثير من الترشيد، والموضوعية، والعقلانية، والإسلامية في التفكير، والتخطيط، والاجتهاد السياسي، والعقل، وإنها حركة مخترقة موجهة لإثارة الفتنة الطائفية بين المسلمين في العراق وأفغانستان وباكستان بشكل خاص، ولا تكفي الممارسات الأمنية لعلاج هذه الظاهرة الواسعة، إذا لم تقترن بحلول ومعالجات سياسية وثقافية.

٣. العولمة

يتعرض العالم الإسلامي اليوم لانهيار واسع للحواجز السياسية

والثقافية والإقتصادية التي تفصل أقاليم العالم الإسلامي عن الغرب.. وذلك بحكم قانون القرية الكبيرة الواحدة التي ترفض وجود الحواجز بين أحيائها وأطرافها المتعددة، كما يشيعه الغربيون.

فقد تشابكت أطراف العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً، بحكم وسائل النقل، والارتباط، والاتصال، والإعلام الكثيرة، حتى عاد من غير الممكن فصل أجزاء العالم بعضه عن بعض.

وهذه الظاهرة هي التي تهدّد أمن وسلامة الدول والكيانات السياسية والاقتصادية الضعيفة مقابل الدول الاستكبارية ذات القدرات السياسية والإعلامية والاقتصادية الكبيرة.

لقد تساقطت هذه الحواجز في غياب من وعي الرأي العام الإسلامي لما يجري في الساحة الإسلامية، سياسياً وثقافياً واقتصادياً، وفقدت الساحة الإسلامية حصانتها، من غزو الشركات الاقتصادية الغربية العملاقة لأسواقنا.

وقد تمكنت هذه الشركات في المنافسة الحُرة التي تجري بينها وبين مراكزنا الاقتصادية والصناعية الداخلية من عزل مراكز الإنتاج الصناعي الداخلي وأضعافها واكتساح الأسواق في العالم الإسلامي... طبعاً بالمنافسة الحرة، كما لو جرى قانون تكافؤ

الفرص بين عامل ضعيف لا يملك غير جهد ساعديه وآخر يملك رؤوس الأموال الطائلة.. إن قانون تكافؤ الفرص قانون عادل بلا شك، إذا طبق في ظروف مستويات اقتصادية ومعيشية متقاربة أما عندما يطبق في ظروف معيشية مختلفة وعند مستويات اقتصادية متفاوتة، فإنه يصبّ دائماً في صالح أصحاب رؤوس الأموال، وتضطر الطبقة الفقيرة الضعيفة إلى أن تبيع جهودها لهذه الطبقة بثمن بخس.

والذي يجري اليوم في الانفتاح الاقتصادي للأسواق الإسلامية على الغرب يشبه هذه الحالة تماماً، وتزداد يوماً بعد يوم حالة الضعف في إنتاجنا الاقتصادي الداخلي، ويحكم الغرب أكثر فأكثر في حركة الاستيراد والتصدير في أسواقنا التجارية ـ ويتحول اقتصادنا إلى اقتصاد استهلاكي استيرادي بحكم نظام العولمة الاقتصادية.

والهيمنة الاقتصادية تتبع بالضرورة الهيمنة السياسية، والأخيرة تتبعها الهيمنة الثقافية، وهذه حلقات لا ينفصل بعضها عن بعض إلا بعلاج شاق وعسير.

ولو كانت علاقاتنا الاقتصادية المنفتحة مع الغرب والدول الصناعية الكبرى تمثل علاقة متكافئة بين الاستيراد والتصدير لم

يكن علينا من ضير في العلاقة الاقتصادية المنفتحة مع الدول الصناعية.. فإن طبيعة العلاقة الاقتصادية تقتضي الأخذ والعطاء، و الأخذ والعطاء المتكافئان لا يضران مراكز الإنتاج والأسواق التجارية في بلادنا.

ولكن مشكلة العالم الإسلامي في علاقاته الاقتصادية مع الغرب هي العلاقة غير المتوازنة وغير المتكافئة بين التصدير والاستيراد.

وهذه العلاقة تؤدي بالضرورة إلى هيمنة الدول الاقتصادية الغربية والشرقية على حركتنا الاقتصادية، وهي تؤدي إلى مسلسل طويل من التبعية الاقتصادية والسياسية والثقافية.

والأمر كذلك في العلاقات السياسية، فقد تعرضت حدودنا السياسية لإنهيارات واسعة وتعرضت مواقعنا السياسية، تحت تأثير الضغوط السياسية والاقتصادية والإعلامية، وكذلك التهديدات العسكرية، لنفوذ الدول الكبرى بشكل كبير.

ومن هذه العوامل الضاغطة التهديد باستصدار قرار الحصار الاقتصادي والجويّ والسياسي من قبل مجلس الأمن. وهذه القرارات في الغالب غير عادلة ولا منطقية وتخضع لضغوط الدول الكبرى ـ كما نخضع نحن في العالم الإسلامي لتنفيذ هذا

القرارات والخضوع لها.. في الوقت الذي لا تعبأ لها إسرائيل ـ وتمارس التجاوز والعدوان رغم كل قرارات مجلس الأمن علانية وجهاراً.

إن دخولنا في رحاب العولمة السياسية يساوي قبولنا من طرف واحد للنفوذ السياسي للدول الكبرى عموماً، وللولايات المتحدة الأمريكية، التي تقود الاستكبار العالمي، بشكل خاص.

وهذا النفوذ السياسي لا يجري، بصورة متكافئة في العلاقات الدولية، كما يجري بين أي كيانين سياسيين متعاملين مع بعض، سياسيا، واقتصاديا، وإنما يجري من طرف واحد فقط.

وهذه الحالة، بالذات هي التي حرمها الإسلام مؤكداً من خلال نفي السبيل للكافرين على المؤمنين، والسبيل هو النفوذ يقول تعالى ﴿**وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾[1].

ونهى الله تعالى عن الركون إلى الظالمين وساوى بينه وبين النار في جهنم يقول تعالى ﴿**وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾[2].

(١) النساء:١٤١.

(٢) هود:١١٣.

وليس هناك من يمارس الظلم في حياة الناس أعظم من الدول الكبرى التي تمارس أبشع أنواع الظلم والإجحاف بحق المسلمين، وقد حرّم الله تعالى الركون والإطمئنان إليهم، والثقة بهم.

وأمرنا الله تعالى بالتعامل معهم، من خلال موقع الاستعلاء والقوّة، لا من موقع الانفعال والضعف.

أن العلاقات السياسية والاقتصادية المنفتحة مع الغرب، والدخول في نظام العولمة سياسياً واقتصادياً، يؤدي بصورة مباشرة إلى تدفق النفوذ السياسي والاقتصادي لدول الاستكبار العالمي إلى العالم الإسلامي من طرف واحد.

تماماً كما لو رفعنا الحواجز الهندسية عن تدفق السيول إلى أرض منخفضة، فإن انهيار هذه الحواجز يساوي الخراب الواسع الذي يتبع تدفق السيول إلى أرض منخفضة عامرة بالناس والعمران. والصحيح هو تنظيم العلاقة وليس الانفتاح اللامحدود الاقتصادي والسياسي والثقافي، كما يدعو إليه دعاة العولمة ولا تختلف الحواجز السياسية والاقتصادية عن الحواجز الثقافية.. فكما تحتفظ لنا هذه الحواجز في الاقتصاد والسياسة الحصانة الاقتصادية والسياسية، وتحفظهما من النفوذ الاقتصادي والسياسي

للدول الكبرى، كذلك الحواجز الثقافية تحفظ لامتنا مناعتها الثقافية والحضارية من التحلل الخلقي والقيمي الذي يقدمه لنا الغرب من خلال وسائله الإعلامية الضخمة والمتطورة.

إن الغرب استطاع، للأسف، أن يكسر الحواجز التي تفصلنا عنه ثقافياً وحضارياً بالآليات الخبرية والإعلامية الفضائية وشبكات الانترنيت والصحافة المتطورة التي تطبع في عدة عواصم في وقت واحد.

ودخل الغرب بهذه العملية الاقتحامية عقر دورنا ومخادع نوم أبنائنا وبناتنا، ومن دون أي حاجز يذكر، كما لو كان السد يتهاوى أمام تدفق السيول المخربة فتدخل السيول بقدرة تخريبية عالية دور الناس وممتلكاتهم ثم محلاتهم وتسلب منهم كل قدرة على حجز هذا التدفق المخرب ومنعه.

إن الذي يجري اليوم في الأوساط الثقافية في العالم الإسلامي هو الكارثة الثقافية، بعينها، لو لم يتداركها المسلمون بوعي لعمق الكارثة، وتخطيط دقيق للحد من خسائرها، وبالتالي السيطرة عليها.

إن الانفتاح الثقافي والحضاري القائم فعلاً ليس عملاً ثقافياً وحضارياً (حواريّاً) متبادلاً بين ثقافتين وحضارتين، كما يأمرنا

القرآن بالحوار، وتبادل الأفكار، والثقافات، وإنما هو اكتساح ثقافي. وليس من الصحيح أن نخدع أنفسنا في هذه الكارثة الثقافية التي تحل بأبنائنا وبناتنا ونسبغ عليها عناوين وهميّة من قبيل الحوار والانفتاح، فإن الإسلام لا يمنع من الحوار والانفتاح، بل يأمر بهما، ولكن الذي يجري اليوم هو شيء آخر، يختلف عن الحوار والانفتاح السياسي تماماً.

إن الذي يجري في الوسط الثقافي، في العلاقة بيننا وبين الغرب هو تماماً ما يجري في الأسواق التجارية في العلاقة الاقتصادية بيننا وبين الدول الصناعية، وفي مواقع النفوذ السياسي بيننا وبين الدول الكبرى في العلاقة السياسية والنفوذ السياسي.

وهذا الذي يجري اليوم في نظام العولمة الجديد، سياسياً، واقتصادياً، وثقافياً، ليس من مقولة الانفتاح المتكافئ، وتبادل العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية، وإنما هو من نوع الاجتياح السياسي والثقافي والاقتصادي.

وهذا الاجتياح الثقافي، يهددنا إذا لم نتداركه بوعي وعقل وتخطيط دقيق... يهددنا بفقدان المناعة الثقافية والحضارية، وهو ما يطلق عليه الأطباء عنوان (الايدز) طبياً.. فإن شيئاً من هذا القبيل يجري في عالم الثقافة كما يجري في عالم الطب من فقدان

المناعة من الأمراض المعدية.

وليست أمامنا خيارات كثيرة في هذا الاجتياح الثقافي والحضاري الواسع، وليس بوسعنا أن نمنع الأثير من أن ينقل إلينا، ذبذبات الصوت والصورة، وليس بوسعنا أن نغلق أبواب دورنا وغرف أبنائنا وبناتنا عن هذا الاجتياح الثقافي الواسع.. والشيء الوحيد الذي نملكه ويجب أن نخطط له هو التربية بالتقوى، وبناء الجيل الجديد على أساس قويّ من التقوى. فإن التقوى عازل تربوي قوي، ولباس واق يحفظ الجيل الصاعد من حرائق التحلل والابتذال الخلقي القادمة إلينا من ناحية الغرب، يقول تعالى: (ولباس التقوى ذلك خير)، وكما يحفظ اللباس الإنسان من الحرّ والبرد، ويستر سوءته عن أنظار الناس، كذلك التقوى يحفظ الشباب في وسط هذه الحرائق **﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾**[1].

إن التقوى لباس يستر سوأة النفس، كما يستر اللباس سوأة جسمه وهو كما يقول أميرالمؤمنين علي أبن أبي طالب عليه السلام: «إن التقوى دار حصن عزيز، والفجور دار حصن ذليل، لا

(١) الأعراف: ٢٦.

يمنع أهله ولا يحرز من لجأ إليه»[1].

إن الأداة التي تمكّننا من مواجهة هذا الغزو الثقافي الهائل (بل القصف الثقافي)، هو التقوى، وهو أداة قوية، وعازل قوي، يحفظ الشباب من الجنسين من تأثيرات هذه الثقافة الحضارية المتحللة.

الإعداد التربوي للجيل الناشئ والصاعد:

الجيل الذي يواجه التحديات لابد أن يكون صلباً، صعباً، يمتلك مزايا وكفاءات عالية على مواجهة التحديات والصمود والمقاومة.

ولابد لهذا الجيل من إعداد صعب.

ومنهج التربية الإسلامية هو المنهج الصعب الذي ينشئ هذا الجيل الصعب.

إن هذه الأمة تواجه اليوم وغداً البأساء والضراء بأقسى ما تكون البأساء والضراء وأشدها، وسوف تحتدم الحضارتان الإلهية والجاهلية في صراع مصيري صعب... ولابد لهذا الصراع من رجال صعاب ونساء صعبات، وللأسرة الدور الأول في بناء هذا الجيل الصعب، وللمدرسة الدور الثاني.

---

(١) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٩: ٢٠٩.

ومن الآن لابد أن نُعدّ العدة لهذه المعركة، وقد تخلينا وتأخرّنا كثيراً عن الإعدادَ والتحضير لها... فلابد أن نتدارك.

مقابلة التحدي بالتحدي:

من أفضل أساليب مقابلة التحدي مقابلة التحدي بالتحدي. إن الدفاع أمر لابد منه في آية مواجهة وأي تحد وفتنة. ولكن موقع الدفاع موقع ضعيف دائماً، ولا يصح الاقتصارٍ عليه.

فإن الاقتصار على الدفاع يؤدي إلى إبقاء حالة عدم التوازن بيننا وبين خصومنا... بين جهة الهجوم وجهة الدفاع. فإن خصومنا الحضاريين والسياسيين يبتدعون كل يوم فتنة جديدة وتحدياً جديداً، ولا ينتهي مسلسل التحديات.

فيستهلكنا الموقف الدفاعي، ويبقى العدو في موقع أفضل منا بحكم دوره في التحدي والهجوم، ويبقى موقعنا أضعف من موقع العدو، بحكم موقعنا الدفاعي.

ولكي تنقلب هذه اللامعادلة إلى العكس... لابد أن نحشر خصومنا في موقع الدفاع، ونخرج نحن من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم... أو لا يستغرقنا الدفاع على الأقل.

ولكي نتحوّل إلى موقع الهجوم لابد أن نبحث عن ثغرات في

كيان العدو الحضاري والثقافي والنفسي والسياسي، وهي كثيرة، يجب أن نحوّل بعض جهدنا إلى تحدي الخصم ومهاجمته في عقر حضارته وثقافته وكيانه السياسي.

وسلام الله على أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول:

«ردوا الحجر من حيث جاء»[1].

إن الدراسات الاستشراقية لم تكن لغايات علمية ومعرفية من أول يوم، وإنما كانت لغايات استكشافية، يكتشفون فيها ثغرات الضعف في تاريخنا وثقافتنا.

وبقي علماؤنا في موقع الدفاع تجاه الدراسات الاستشراقية إلى اليوم... وهو أمر لابد منه.

ولا يجوز أن نترك المستشرقين يعبثون بتاريخنا وثقافتنا ويُشوّهونها من دون رد.

ولكننا لو كنا نبذل من أول يوم في صراعنا مع الاستشراق بعض هذا الجهد في دراسات (استغرابية) نكتشف فيها نقاط الضعف في تاريخ الغرب وحاضره وثقافته بصورة موثقة منذ أيام القمع الكنسي للعلم، والحركة الإرهابية في تفتيش العقائد، إلى

(١) نهج البلاغة، حكمة: ٣١٤.

حالة التحلل الخلقي والقيمي القائمة اليوم، في الغرب، وحالة التفكك العائلي التي تهدد كيان الأسرة في الغرب تهديداً حقيقياً، وثغرات الضعف الكثيرة في النظام الرأسمالي الغربي، والديمقراطية الغربية والليبرالية، والاقتصاد الحر، وأمثال ذلك وهي كثيرة.

... أقول: لو كنا نضع بعض هذا الجهد الذي بذلناه للدفاع عن الإسلام في الهجمات الاستشراقية.. لو كنا نضع بعض هذا الجهد في دراسات استغرابية نكشف بها سوأة الحضارة المادية الغربية، ونعرّيها لكان أجدر وأنفع مما صنعناه...

على أن الذي صنعناه في الرد على شبهات المستشرقين كان واجباً لا مناص منه... لا خلاف في ذلك، وبكلمة واحدة إن مواجهة التحدي بالتحدي هو أفضل أساليب المواجهة والدفاع.

المرابطة والحضور الواعي في الساحة:

لا تبقى الساحة الاجتماعية فارغة بحكم ضرورات السنن الإلهية، فإذا عَمَر المؤمنون ساحتهم بالحضور الواعي الفاعل، عَمُرتْ بهم الساحة وانتعشت.

وفي حالة إخلاء الساحة من المؤمنين لا تبقى الساحة شاغرة

بانتظار حلول الصالحين، وإنما يفسح خلو الساحة من أبنائها المجال للعناصر الانتهازية التي تنتهز الفرص للتسلق على دماء الشهداء وتضحيات الصالحين من الشباب وسجونهم وعذابهم.

إن (شهود) الصراع الذين شهدوا ساحة الصراع المحتدمة أمس، في العراق، بين النظام البعثي والإسلام، يرثون اليوم دماء (الشهداء). وهكذا (الشاهد) دائماً يرث (الشهيد)... وهذا الميراث ليس من نوع المواريث المادية التي يرثها الأبناء من الآباء، وإنما هو ميراث المسؤوليات والواجبات.

إن الحضور الواعي في الساحة السياسية من قبل الجمهور الصالح المخلص من المؤمنين تكليف شرعي، يجب أن يلتزم بها الجمهور الذي يرث هذه الساحة عبر دماء النخبة الصالحة من أبنائها وعذابهم.

والتهاون في الحضور، واللامبالاة تجاه ما يجري في الساحة من أحداث سياسية وثقافية وإدارية.. تهاون في التكليف الشرعي... إذا انطلقنا من منطلق وجوب الرعاية الشاملة، والمتبادلة في الشبكة الواسعة من العلاقات، داخل الأمة كما يقول رسول الله ﷺ:

«**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1].

وهذه قفزة نوعية في الوعي السياسي للأمة، إذا عرفت أن الحضور السياسي في الساحة في الصميم من التكليف الشرعي... وأن صوتها ينبغي أن يكون هو الصوت الأقوى، وهتافها هو الهتاف المدوي في الساحة، ورأيها وقرارها هو قرار الساحة، وجمهورها هو الذي يشكّل القاعدة العريضة في الساحة، ولا يحجب صوتها الدوي الإعلامي الخادع، من الذين ليس لهم وجود إلاّ في الإعلام، ولا مصداقية لهم في غير الإعلام.

وعليها أن لا تسمح للجماعات والفئات الوصوليّة التي همّها الوصول إلى السلطة، بأي ثمن، أن تنوب عنها في الوصول إلى مواقع السلطة، كالعصابة التي حكمت العراق لأكثر من ثلاثة عقود من الزمان بسبب غياب الأمة عن الساحة وانصرافها عن مهام الساحة ومسؤوليات الشأن العام إلى شؤونهم الفردية والأسرية، اللهم إلاّ مساحات من الأمة والحوزة العلمية ليست بحجم العراق بالتأكيد.

إن لكل إنسان اهتمامات خاصة، من غير شك، في معيشته

(١) عوالي اللآلي ١: ١٢٩ ح٥١ وبحار الأنوار ٧٢: ٣٨ ووراه أحمد والبخاري.

وحاضره ومستقبله ورزقه وأسرته، ولكن ينبغي أن لا تحجبه هذه الاهتمامات عن الساحة العريضة التي تتعلّق بكل الأمة... فإن جمهور الأمة إذا غاب عن الساحة تتحول الساحة إلى ساحة للمناورات السياسية والإعلامية لعصابات همهم الوصول للسلطة بأي ثمن، ومهما كانت الوسائل... وقد جرّب العراقيون هذه العصابات أكثر من مرة، وكانت التجربة الأخيرة، التجربة الأكثر مرارة وقسوة في تاريخهم.

وقد حدث ما كان يجب أن لا يحدث. ولا سبيل إلى تلافي ما حدث.. ولكن يجب أن نحول دون حدوثه مرة أخرى.

ولئلا تتكرر الكارثة يجب أن يحرص الجمهور المؤمن الصالح الواعي على الحضور في الساحة، والاهتمام بالشأن العام، والإحساس بالمسؤولية الاجتماعية.

والله تعالى يحب اهتمام الناس بالشأن العام وحرصهم عليه، فإذا وجد الله تعالى من الناس هذا الحرص، والصدق، والعزم، والوعي، والعطاء، والإحساس بالمسؤولية، تجاه ما يجري في الساحة وضع يده على أيديهم، ومع أيديهم، وحيث تكون يد الله تكون القوة والنصر والسداد. إن شاء الله تعالى.

إن تجمعات من مثل صلاة الجمعة، صلوات الجماعة، الحج، الأعياد الإسلامية، مناسبات أهل البيتعليهم السلام وزياراتهم، مجالس العزاء الحسيني، المجالس المخصصة للدعاء، مثل مجالس دعاء كميل ليالي الجمعة... والمسيرات السياسية الدينية مثل مسيرات التأييد والاحتجاج والاعتراض وأمثال ذلك تجمعات مباركة تنزل فيها رحمة الله، وتشعر جمهور المؤمنين بالقوة والكثرة وتنفي عنهم الإحساس بالوحشة والقلة، وتخيف الأعداء وترهبهم.

وقد كان أزلام نظام البعث يتهيبون مواسم الزيارة التي يجتمع فيها المؤمنون لزيارة مرقد الإمام الحسينعليه السلام، وكانوا يعملون كل ما بإمكانهم لإعاقة زيارة الحسينعليه السلام في كربلاء.

وليست هذه الرهبة جديدة في نفوس الظالمين... فطالما وجدنا الظالمين منذ عصر بني أمية وبني العباس إلى اليوم يخافون تجمع الناس حول الشعائر والمجالس الحسينية ويلجئون إلى القوة لتفريقهم.

ويقع على عهده العلماء والخطباء والمفكرين توجيه هذه الاجتماعات وإثراءها بالأفكار والتوجيهات.

الوعي السياسي والإحساس بالمسؤولية:

وشرط الحضور أن يكون حضوراً (واعياً) و(مسؤولاً). وهذان شرطان أساسيان في الحضور: (الوعي والإحساس بالمسؤولية).

فإذا فقدنا الوعي في الحضور كان الحضور غوغائياً انفعالياً وكان ضرّه أكثر من نفعه، ويتحول الحضور عندئذٍ إلى حالة قطيعيّة عائمة، غير موجهة.

وإذا فقدنا المسؤولية في الحضور كان الحضور أشبه شيء بحضور المتفرجين الذين ينفرطون عند الأزمات والشدة، كما يحضر الناس ألعاب كرة القدم ثم ينفرطون إذا انتهت اللعبة.

إذن لابد أن يمتلك الجمهور، الوعي السياسي الذي يمكّنه من التشخيص السياسي الصحيح، ويمكّنه من أن يخترق الإعلام السياسي والشعارات السياسية المضلّلة، ويمنحه حالة من الثبات والثقل السياسي، ولا يكون خشبة عائمة على أمواج (الإعلام) و(السياسة)، (أتباع كل ناعق) كما يقول الإمام الحسين عليه السلام.

إن الوعي السياسي يعطي للأمة ثقلاً، وتشخيصاً صحيحاً، وبصيرة سياسية، وثباتاً في المواقف السياسية... وبعكسه تكون الأمة عرضة للشعارات السياسية المضلّلة، وللإعلام المضلل،

والمناورات التي تقوم بها الجماعات التي تعمل للوصول إلى السلطة بأي ثمن (الوصوليون)، ويتحول الجمهور عندئذٍ إلى حالة انفعالية غوغائية. وقد شاهدنا مشاهد من هذه الحالة الغوغائية للجمهور في الساحات السياسية في العالم الإسلامي كثيراً.

وإشاعة الوعي من مسؤوليات العلماء وخطباء الجمعة والجماعات وخطباء المنبر الحسيني والمثقفين.

وليس من عجب أن يمتلك الجمهور الوعي السياسي الراشد الذي يجعل منه قوة موجهة وراشدة وصامدة... ففي الجمهور مواهب وكنوز من المعرفة والإخلاص والحصانة، ليس في غيرهم، ولربما يتجاوز الجمهور في وعيه ورشده وبصيرته السياسية النخبة المثقفة.

والشرط الآخر لحضور الجمهور الإحساس بالمسؤولية تجاه الساحة، انطلاقاً من تعميم مسؤولية الرعاية السياسية والاجتماعية على الجميع في شبكة مترابطة، كما في الحديث النبوي: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته**».

إن الساحة السياسية، ليست بمثابة ساحات الألعاب الرياضية

التي يحضرها المتفرجون، يتفاعلون مع هذه الجهة أو تلك لساعات، ثم ينفض الجمهور، كل لشأنه.

لكل فرد من الجمهور يحضر الساحة دور ومسؤولية، يجب أن يتحسّس به، ويدركه، كما يدرك مسؤوليته تجاه أسرته ورزقه ومعيشته... والمسؤولية الاجتماعية على الإسلام والمسلمين أهم من المسؤولية الفردية. وقد يجب على الإنسان أن يضحّي بشؤونه الفردية من أجل المسؤولية الاجتماعية.

فما من منكر ولا فساد يقع في المجتمع، إلاّ ويتحمّل الناس جميعاً مسؤولية ذلك، حتى ترتفع المسؤولية بإقدام البعض، وفي غير هذه الصورة يجب على كل فرد في المجتمع ـ على نحو الكفاية ـ أن يقوم بواجبه تجاه مكافحة المنكر والفساد، كما يقول الفقهاء في الواجبات الكفائية.

وإذا تولى نظام فاسد ظالم الحكم في المجتمع، وقف الجميع موقف السؤال تجاه هذه الحالة من الاستبداد والظلم حتى يسقط الظالم، أو يؤدي الإنسان المسلم ما يجب عليه من العمل في المعارضة والجهاد.

إن الحياة الاجتماعية مسؤولية في الإسلام، لا يعفى منه احد حتى يؤدي ما عليه، أو تسقط المسؤولية بإقدام الآخرين.

الحركة والمراقبة

للحضور دوران في حياة الأمة: الدور الحركي، ودور المراقبة. ولابد منهما معاً في الساحة.

الساحة بحاجة إلى الحركة، والعطاء، والنصيحة، والمشاركة في أداء المسؤوليات، ودعم الأعمال الصالحة وتأييدها، والتعاون في حركة البناء، والتضامن، والتكامل، والتناصر... وهذا هو الدور الأول.

والدور الثاني دور المراقبة والنقد، وهي مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإذا تَخَلّت الأمة عن مراقبة الساحة وما يجري فيها عمّت المنكرات والفساد الساحة، والذي يحصّنها من الفساد والظلم والمنكرات هو المراقبة الدقيقة لما يجري فيها.

إن المراقبة والأمر بالمعروف والنهي المنكر حسّ وإحساس بالمسؤولية، ولابد أن يَتَسلّحَ أبناء الساحة بهذا الحسّ الذي يمكنهم من التقاط مشاهد المخالفة والانحراف والتخلف والفساد وفوضى الأمن.

ولابد أن يمتلكوا الإحساس بالمسؤولية تجاه ذلك كله

ليقاوموا مظاهر المنكر والفساد في المجتمع.

وكما يجب أن تكون حركة البناء حركة اجتماعية عامة بجميع أبناء الساحة جميعاً في مسيرة العمل الصالح... كذلك يجب أن تكون المراقبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاعتراض بصورة اجتماعية تعبّر عن غضب الأمة، وسخطها، واعتراضها، على مظاهر الفساد والمنكرات في المجتمع.

المقاومة:

الأمة من دون المقاومة ريشة في مهب الرياح، وخشبة عائمة على أمواج السياسة والإعلام.

والحياة صراع، والطرف الذي يبقى في ساحة الصراع ليس هو الطرف الأقوى غالباً، بل هو الطرف الأكثر مقاومة.

والشواهد التاريخية على هذه الحقيقة كثيرة. ومن التاريخ المعاصر نشير إلى انتصار الشعب الإيراني في ثورته التي قادها الإمام قدس سره على حكومة الطاغية بهلوي، وانتصار الشعب العراقي على حكومة الطاغية صدام، وانتصار شباب الجنوب في لبنان على إسرائيل، ومقاومة ثورة الحجارة وصمودها في وجه إسرائيل.

وهذه حقيقة هامة يجب أن يعيها المسلمون، اليوم، في وجه الاحتلال الأمريكي، المدجج بالسلاح، والمجهز بأعتى قوة عسكرية على وجه الأرض، والمدعوم بأوسع إعلام سياسي في العالم:

إن المواجهة المصيرية بين المسلمين من جانب وأمريكا وإسرائيل من جانب آخر هو قَدَر هذه الأمة في هذه الفترة من تاريخها... ونحن بإزاء هذا القدر السياسي نحتاج إلى وعي وبصيرة سياسية للحقيقة التي يؤكدها القرآن في أكثر من موقع: في انتصار (المقاومة) على (العدوان)، وإن كان حجم العدوان أضعاف حجم المقاومة.

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾[1].

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[2].

﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3].

والمقاومة على أنحاء، منها المقاومة المسلّحة، ومنها المقاومة

(١) الأنفال: ٦٥.

(٢) آل عمران: ١٤٦.

(٣) الأنفال: ٤٦.

السياسية والإعلامية، ومنها المقاومة الاقتصادية، التي تتجسّد في الامتناع عن استخدام البضائع الأمريكية، والامتناع من تصدير النفط إلى الكيانات السياسية التي تعلن العداء لهذه الأمّة.

وقبول الحصار الاقتصادي الذي تستخدمه أمريكا ضد خصومها بواسطة مجلس الأمن.

ومنها المقاومة الثقافية، وغير ذلك.

وسوف تبقى (المقاومة) أمراً أساسياً في حياتنا السياسية والاقتصادية والثقافية المعاصرة إلى أن يأذن الله تعالى بالفرج.

وأما نوع المقاومة، فتقرره الظروف السياسية والمصلحة والمرحلة، وهي مسائل أساسية يلي أمرها أولياء أمور المسلمين.

المفردات السياسية

الخطاب السياسي

الخطاب السياسي وتحديده من أهم مطالب الحياة السياسية، ومن دون وجود خطاب سياسي للأمة، وتحديد إطاره ومضمونه السياسي لا ينعقد الموقف والقرار، ولا يمكن تحديد الشعار السياسي (الذي لابدّ منه في أية عملية سياسية).

كذلك لا يمكن تقرير المصير، وتحديد نوع الحكم، والعلاقات السياسية، ومسائل المعارضة، والجهاد إلاّ بتحديد الخطاب السياسي... وهذا كله يتوقف على وجود خطاب سياسي للأمة، وتحديد المضامين التي يتضمنه الخطاب، حتى الدستور يتوقف على الخطاب السياسي، ومن دونه لا يمكن تدوين الدستور. فإن الدستور ملتقى السياسة والقانون.

خطاب الأمة والخطاب الرسمي:

ونحن نقصد بـ(الخطاب السياسي) خطاب (الأمة)، وليس الخطاب (الرسمي)، فقد فَقَد الخطاب الرسمي في أكثر أقاليم العالم الإسلامي أهميته وقيمته السياسية، لكثرة الكذب والتمويه،

ولكثرة المفارقات في الخطاب السياسي الرسمي.

فقد مارس حزب البعث أبشع أنواع الفساد، والاستبداد، والاضطهاد، والابتزاز، والإسراف في الدماء والأموال والأعراض في العراق، والتآمر، وإثارة الحروب والفتن في المنطقة كلها تحت عنوان (الوحدة والحرية والاشتراكية).

إن الخطاب السياسي الحق، الذي له دور في صناعة الموقف والقرار، والمصير السياسي، والعلاقات السياسية، والدستور يجب أن يكون متبنّىً من قبل الأمة، يعيه الجمهور، ويفهمه، ويتبنّى ما فيه... عندئذٍ يمتلك هذا الخطاب القوة والفاعلية في الحياة السياسية للأمة.

المقاومة الإسلامية

انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان على إسرائيل مسألة تستوقف الإنسان كثيراً وتحتاج إلى توقف وتأمل.

إن حزب الله قوة محدودة من حيث السلاح، والقوة، والعتاد، والإعلام، والمال، وإسرائيل قوة كبيرة في المنطقة وفي العالم، سياسياً وعسكرياً وتسليحياً وإعلامياً ومالياً ودولياً.

وهذه (اللاّمعادلة) بين القوتين تؤدي إلى الحكم بحتميّة

إنتصار إسرائيل على حزب الله في هذه المعركة، بلا توقف ولا تأمل، لو كان النصر العسكري يخضع للاعتبارات العسكرية فقط.

وانطلاقاً من هذه النقطة كانت أمريكا تؤجّل يوماً بعد يوم قرار وقف إطلاق النار في مجلس الأمن، لتحقق إسرائيل بعض النصر العسكري الذي تتوقعه أمريكا لها في كل يوم، بل في كل ساعة.

فكيف انتصر حزب الله في هذه المعركة الضارية على إسرائيل، ولم تستطع إسرائيل أن تحرز أي انتصار عسكري حقيقي خلال ٣٣ يوماً في معركة شرسة دخلتها إسرائيل رغم كل (اللامعادلة) العسكرية التي شرحتها آنفاً.

إننا يهمنا أن نتوقف عند هذه النقطة، ونحلّلها فهي نقطة جديرة بالتأمل في مواجهتنا وحروبنا المستقبلية لإسرائيل وأمريكا.

إن (المقاومة الإسلامية) تركيب من عناصر ثلاثة، هي:

١ ـ الإيمان.

٢ ـ الوعي.

٣ ـ القوة.

وهذه العناصر الثلاثة تفسّر هذا الانتصار الكبير الذي أحرزه حزب الله على إسرائيل. ولنتأمل هذه العناصر الثلاثة واحدة بعد أخرى.

١.الإيمان:

إن الإيمان بالله تعالى هو العنصر الأول في هذا النصر.

والإيمان بالله معنى شامل واسع يتضمن الثقة بالله، والتوكل على الله، والإخلاص لله، وابتغاء وجه الله في السلم والحرب، والرضا بأمر الله، والحب لله والسخط والغضب في الله، والصدق مع الله، وتقوى الله في السراء والضراء... ولا شك أن الإيمان بهذا المعنى الشامل من أهم عناصر النصر... وقد نزل على المسلمين في معركة (أحد) بعد الانتكاسة التي أصابتهم في تلك المعركة هذه الآية الجليلة التي تَبْقى نبراساً لكل الأجيال: ﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[1]... إنها لم تنزل في نشوة انتصارات (بدر)، وإنما نزلت في مرارة انتكاسة (أحد). تدعوهم إلى أن لا يضعفوا (ولا تهنوا)، ولا يحزنوا لما أصابهم من الانتكاسة، فإنّهم (الأعلون) و(المنتصرون) و(الغالبون) إن شاء

(١) آل عمران: ١٣٩.

الله، ما كانوا مؤمنين.

في ٦٧ م اصطفت الأنظمة العربية صفّاً واحداً لمحاربة إسرائيل، ولكن عيونهم كانت مشدودة إلى الجسر الجوي الذي يصل بين (موسكو) و(القاهرة) ليرفدهم بما كان يعدهم السوفييت من السلاح والعتاد، ولكن الله تعالى خيّب ظنونهم في السوفييت وانتصرت إسرائيل، واحتلت خلال ستة أيام (الجولان)، و(سيناء) و(القدس)، و(الجليل)، و(حيفا)، و(يافا)، و(الضفة)، و(غزة)... وعاد حكّام العرب بخفي حنين إلى قصورهم، ليمارسوا فصلاً آخر من فصول الظلم والإفساد والاستبداد بحق شعوبهم، والعمالة لأمريكا، التي وقفت مع إسرائيل حتى النخاع، وأخيراً التفاوض وتطبيع العلاقات مع إسرائيل وتبادل السفراء ورسائل الحب والود.

ولو كانت عيون حكام العرب يومئذ، بعين الله، لا بالسوفييت، لنصرهم الله تعالى، ولكنهم نسوا الله تعالى فنساهم الله، وأنساهم أنفسهم.

٢.الوعي:

والعنصر الثاني من العناصر المكونة للمقاومة الإسلامية الوعي

الجهادي والحركي والسياسي. وهذا الوعي من ثمرات الإيمان بالله، لا تنفك عنه.

وهذا الوعي نقتبسه من كتاب الله مباشرة ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[1].

إن الاستكبار الكافر المتمثل اليوم في إسرائيل مبعث فتنة واسعة، وحريق واسع من الفتن في العالم الإسلامي... وما دامت إسرائيل قائمة تدوم هذه الفتنة، فلابد من أن يعمل المسلمون لإجتثاث هذه الفتنة من الجذور، لئلا تكون هناك فتنة، وليكون الدين والحاكمية لله تعالى.

يقول تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ**﴾[2].

إن هذه المقاومة والقتال هو سبيل خلاص المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا الله.

إن إسرائيل اليوم محرقة وفتنة في المنطقة، وعقبة في طريق إستقرار المنطقة وسلامتها، وفي طريق توحيد الله وعبوديته، وأداة

(١) البقرة:١٩٣.

(٢) النساء: ٧٥.

أمريكا لاستضعاف المسلمين، وهـي تختـزل الكثيـر مـن مـصائب المسلمين في الوقت الحاضر. ولا سـبيل للمـسلمين للـتخلّص مـن ذلك كله إلا بإزالة إسرائيل من الخارطة السياسية بالكامل.

وما لم يتوصل المسلمون إلى هذه الحقيقـة الـسياسية الكبيـرة فإن المنطقة الإسلامية كلها تعاني من حالـة عـدم إسـتقرار دائـم، وسوف تمارس إسـرائيل دوراً منظمـاً مدروسـاً فـي تثبيـت إقـدام الاستكبار الأمريكي في المنطقة.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام لجنده يوم صفين حينما استولى جنـد الشام علـى الفـرات ومنعـوا عـسكر الإمـام مـن المـاء، يقـول لهـم الإمـام: «**قد استطعموكم القتال، فأقروا علـى مذلـة، أو روّوا السيوف من الدماء تُرْووا الماء**».

يقول لهم: ليس أمامكم إلا خيارين اثنين:

إما أن تُقـرّوا بالمذلـة أو تـرووا الـسيوف مـن الـدماء فتُـسقون الماء عندئذ.

ثم يقول لهم: «**فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين**»[1].

(١) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٧: ٣٠٠.

الذي يستقبل الموت يقهر عدوه، لا محالة، والذي يهرب من الموت، وتطيب له الحياة يعيش حياة ذليلة البتة.

إن حياة العز والقوة في استقبال الموت، وحياة الـذل والهـوان في الهروب من الموت.

فاختاروا لأنفسكم ما شئتم، أيّها الناس.

ويقول عليه السلام لهم: «**إن أكرم الموت القتل**»[1].

إن الموت حقيقة حتمية لا مفر منه، ومهما يتقدم الإنـسان فـي حياته ساعة يقرب من الموت مثلها.

يقـول عليه السلام: «**إن الموت طالب حثيث، لا يفوته المقيم ولا يُعْجزه الهارب**»[2].

فإذا كان الأمر كذلك، وكان لابد من لقاء المـوت علـى كـل حال، ولا سبيل للإنسان إلى الـتخلّص مـن المـوت، فلمـاذا يـدفع الإنسان عن نفسه أكرم الموت، وهو القتل في سبيل الله، ويمـوت كما تموت الدواب.

ويقول عليه السلام: «**رُدّوا الحجر من حيث جـاء، فـإن الـشر لا**

(١) شرح نهج البلاغة لإبن أبي الحديد ٣: ٢٤٤.

(٢) المصدر السابق.

يدفعه إلا الشر».

وهـذه الكلمـة هـي جـوهر الـوعي الـسياسي والجهـادي فـي مواجهتنا الدائمة لإسرائيل.

فإن إسرائيل لا تزال تكيـد بالمـسلمين، وتمكـر بهـم، وتتـآمر علـيهم، وتتفـق مـع كـل قـوى الـشر والاسـتكبار فـي العـالم فـي إستضعاف المسلمين وفي النيل منهم.

فإذا تحفظ المسلمون أن يردوا هذا الشر بشرّ يكافؤه، فلا يزال هذا الشر يصلهم من ناحية إسرائيل والاستكبار العالمي.

ولا سبيل لهم إلى دفع هذا الشر إلا بشر مثله. وهذا الوعي هـو الـوعي الـسياسي والجهـادي والحركـي الـذي خطتـه المقاومـة الإسلامية لنفسها.

إن مـن الخطـأ أن نلـتمس مـن إسـرائيل إطـلاق سـراح عـشرة آلاف من سجنائنا رجالاً ونساءً، وأطفالاً ومرضى وأصحاء.

فإن إسرائيل لا تفهـم لغـة الحـوار والرحمـة والتفـاهم، واللغـة الوحيـدة التـي تفهمهـا وتـسمعها وتـصغي لهـا، هـي اللغـة التـي خاطبهم بها حزب الله في لبنـان وحمـاس وشـباب الانتفاضـة فـي فلسطين، وهو لغة القوة والمقاومة.

وهذا هو الوعي السياسي والحركي الـذي لابـد منـه فـي هـذا المقطع الحساس من تاريخنا المعاصر.

وهذا الوعي الحركي، من مكونات (المقاومة).

ولـو أنّ المقاومـة كانـت تنطلـق مـن منطلقـات حـبّ العافيـة، وإيثار السلامة، وحب الـدنيا، والثقـة بوعـود الاسـتكبار العـالمي، والمـساومة، والمداهنـة، لاختلـف الأمـر، ولـم تكـن المقاومـة مقاومة، ولكان الاستكبار العالمي يعمـل علـى تـدجين المقاومـة، كما دجّن قبل ذلك الأنظمة.

إنّ العطاء والحركة و(الموقف) من نتائج (الوعي) والوعي من نتائج (الإيمان).

وهاتان معادلتان، لا سبيل للتشكيك فيهما.

٣. القوة والتنظيم:

والعنـصر الثالـث القـوة والتنظـيم، ولا إرتيـاب فـي أنهمـا مـن عوامـل النـصر، والنـصر يحـصل علـى أرض المعركـة، والقـوة والتنظـيم والتخطـيط مـن عوامـل النجـاح والتقـدم علـى ارض المعركة.

وقد أمرنا الله تعالى بإعداد القوة والسلاح للمعركة ﴿**وَأَعِـدُّواْ**

﴿لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾.

وفائدة هذه القوة (الإرهاب)، ولكن إرهاب أعداء الله وأعداء الناس ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّـهِ وَعَـدُوَّكُمْ﴾[1]. لا إرهاب الأبرياء والمستضعفين من خلق الله.

ولابد من هذا العنصر في تكوين (المقاومة) على كل حال، وهذا لا اختلاف فيه... وإنما نختلف في تقييم (المقاومة) وتحليل عوامل إنتصار المقاومة في المكونات الأخرى للنصر، وهي (الإيمان) و(الوعي).

وهذا موضع الافتراق في التقييم والتحليل بيننا وبين المدرسة المادية الاستكبارية الغربية.

إنهم يعتقدون أن القوة على وجه الأرض هي كل شيء في تقرير نتيجة المعركة.. فقد كانوا لا يَشُكّون لحظة واحدة، إن إسرائيل هي المنتصرة في هذه المعركة، فيعجبون كيف تخرج إسرائيل من هذه المعركة (اللامتكافئة) مهزومة مثخنة بالجراح لم تحقق شيئاً حقيقياً من النصر.

ونحن نعتقد أن القوة لابد منها على وجه الأرض، وفي ميدان

(١) الأنفال: ٦٠.

القتال، والتنظيم والتخطيط لابد منه في ساحة المعركة، ولكن القوة لا تختزل كل النصر، والمعادلة الحقيقية قائمة بين النصر وكل عوامل النصر.

وعوامل النصر ثلاثة وليست واحدة، ولابد منها جميعاً، وهذه الثلاثة بعضها يجبر بعضاً، وبهذه السُنة نصر الله تعالى المؤمنين في بدر على عتاة قريش، يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[1].

وبهذه السُنة يقول تعالى:

﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ﴾[2].

وبهذه السُنة يقول تعالى:

﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3].

هذه هي تركيبة المقاومة.

وهذه التركيبة تجعل من المقاومة حالة صعبة، لا يمكن التغلب عليها، إلا بزوال احد أمرين:

أما بزوال العدوان، أو بزوال الوعي الحركي والسياسي لدى

(١) آل عمران: ١٢٣.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

(٣) المجادلة: ٢١.

الناس.

وما دام العدوان باقياً في حياة الناس وعلى مشارف بلدهم، أو في داخل بلدهم، فإن المقاومة قائمة في حياة الناس، لا محالة، ما لم يغب الوعي السياسي والجهادي عن حياة الناس.

فإذا كان العدوان قائماً، وكان الوعي قائماً في حياة الناس، فلا محالة تبقى المقاومة.

إن المقاومة تختلف عن الجيوش النظامية.

إن الجيوش النظامية تنتكس، وتنهزم، وتنكسر في جبهات القتال، ولا هزيمة ولا إنتكاسة في المقاومة، إذا سقط عشرة حلَّ محلهم عشرون، وإذا سقط عشرون حلَّ محلهم أربعون، وهكذا تتنامى وتتوسع المقاومة.

ولا تفقد المقاومة السلاح، حيثما تكون، فان المقاومة تجد السلاح الذي تحارب به العدوان، وإذا صدقت المقاومة في ساحة القتال، أمطرت السماء عليهم سلاحاً، ولن تمطر السماء سلاحاً، ولكن الله تعالى لن يمنع السلاح عن قوم يريدون أنْ يقاتلوا أعداءهم، ويزيلوا العدوان عن أرضهم وكرامتهم، إذا صحّت نيتهم في ذلك.

وسلام الله على الإمام الصادق عليه السلام كان يقول:

«**ما ضعف بدن عما قويت عليه النيّة**»[1]، وبنفس الملاك نقول: لن تفقد أمة تريد أن تقاتل عدوها، وتزيل العدوان عن أرضها وكرامتها، السلاح الذي تقاتل به.

إن أمريكا واهمة، حيث تتصور إن بالإمكان تجريد (حزب الله) من سلاحه، وبالتالي إسقاط حزب الله وتحويله إلى حركة سياسية إعلامية على صفحات الجرائد.

فلن تنتهي المقاومة الإسلامية في لبنان وفي فلسطين ما دامت إسرائيل قائمة بالعدوان والبطش والإرهاب، وما دام القرآن يمد المسلمين بالوعي والبصيرة: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**﴾[2].

لقد كانت أيدينا على قلوبنا في الأسابيع الخمسة من المواجهة بين حزب الله وإسرائيل في جنوب لبنان، وكنا نخشى أن تنفذ صواريخ حزب الله فيبين الضعف العسكري في جهة حزب الله... فإن حزب الله مقاومة محدودة، وليس دولة كبيرة، ومخزونها من السلاح والعتاد والمال محدود، لا محالة، ولكن حزب الله كان يمطر فلسطين المحتلة بالصواريخ في كل يوم، ٢٠٠ صاروخاً و

(١) بحار الأنوار ٦٧: ٢٠٥ ح ١٤.

(٢) الحج: ٣٩.

١٥٠ صاروخاً من غير أن يحسب حساباً لمخزونه من الصواريخ، واستمر هذا الوابل من الصواريخ على سماء فلسطين المحتلة إلى آخر يوم من أيام المعركة، توقف القتال بعده بقرار من مجلس الأمن، ولم ينفذ بعد مخزونه من الصواريخ، ولو كان القتال يمتد بين حزب الله وإسرائيل شهوراً أُخر، لعرفنا كيف يمدّ الله حزب الله بالسلاح والعتاد، والمؤن، والمال، وإن إسرائيل لا تستطيع بمحاصرة لبنان جوّاً وبرّاً وبحراً، وبتخريب الجسور والجادات والاتصالات أن تمنع رحمة الله والمدد الإلهي من حزب الله. **﴿يَقُولُونَ لا تُنفقُوا عَلَى مَنْ عندَ رَسُول اللَّه حَتَّى يَنفَضُّوا وَللَّه خَزَائنُ السَّمَاوَات وَالأَرْض وَلَكنَّ الْمُنَافقينَ لا يَفْقَهُونَ﴾**[١].

إن تجريد حزب الله في لبنان، وتجريد حماس في فلسطين من السلاح، من الوهم الذي تورّط فيه الأمريكان لأنهم يقيسون المقاومة بمقاييس الجيوش النظامية في بلادهم.

وقد أثبتت الأسابيع الخمسة من قتال المقاومة لإسرائيل خطأ أمريكا في مقاييسها ومعاييرها.

ولست أذكر الآن من هو بالتحديد القائد العسكري

(١) المنافقون: ٧.

الإسرائيلي الذي قال عن حزب الله أن اكبر جيوش العالم يعجز عن هزيمة حزب الله... إلاّ إنني أعلم أن هذا القائد العسكري الإسرائيلي عرف في ساحة القتال الضاري لحزب الله، ما لم يعرفه (بوش) في تنظيراته وخطاباته، والدراسات التي يقدمها له مستشاروه.

بين المقاومة والتفاوض

يتأرجح الموقف العربي من إسرائيل بين المقاومة والتفاوض وكان الموقف أول الأمر هو المقاومة، ورفض أي خيار آخر غير خيار المقاومة، غير أن موقف الأنظمة العربية بشكل عام أخذ ينزلق من اللاءات العربية المعروفة باتجاه التطبيع في العلاقة مع إسرائيل، وأخذت المفاوضة تحتل محل المقاومة، حتى انتهت المقاومة بالكامل، في مساحة واسعة من العالم الإسلامي عموماً والعالم العربي خصوصاً.

ونحن نقول لهذه الأنظمة المقتنعة بجدوى التفاوض مع إسرائيل: إن إسرائيل لا تمتلك الحدَّ الأدنى من القيم التي لابد منها في أي تفاوض بين طرفين مختلفين... ولا معنى للتفاوض مع الطرف الذي يطالب بكل شيء ولا يعطي شيئاً للطرف الذي

يفاوضه، وإذا التزم بشيء لا يفي به، ولا يعترف بأية قيمة أخلاقية في التعامل السياسي مع الأطراف الأخرى.

إن المواجهات الأخيرة في فلسطين ولبنان كشفت بوضوح هذه الحقيقة، وعرف الناس جميعاً الطريقة اللاانسانية لإسرائيل في التعامل مع كل من (حماس) و(حزب الله) في قضية الأسير الإسرائيلي الذي أسرته حركة حماس أو الأسيرين اللذين أسرهما حزب الله، لتطلق إسرائيل في المقايضة العسكرية بينهما عن الأطفال والنساء الفلسطينيين الرهائن في سجون إسرائيل وتطلق سراح الرهائن اللبنانيين في إسرائيل.

وإنما نقول (رهائن) لأن إسرائيل اختطفتهم من أرضهم وديارهم وبيوتهم فهم رهائن في سجون إسرائيل، ولا يُعدّون أسرى في الحسابات العسكرية.

إلاّ أن العشرة آلاف من الرهائن الفلسطينيين واللبنانيين المسجونين في سجون إسرائيل في حساب إسرائيل إرهابيون، لا يستحقون الرحمة والحرية بما فيهم الأطفال والنساء، والأسرى الإسرائيليون الثلاثة هم رهائن مختطفون يجب إطلاق سراحهم فوراً.

وفي غير هذه الحالة فان إسرائيل تدخل غزة وتخطف وزراء

حماس ورجال البرلمان من داخل بيوتهم، وتقصف غزة قصفاً مكثفاً، وتقتل وتخرّب، وتخطف، وتمنع عنهم الغذاء، والدواء، وحليب الأطفال، حتى إطلاق سراح الأسير الإسرائيلي، وتدخل لبنان، وتمارس فيه أبشع ألوان التخريب، من الجو، والبحر، والأرض لإطلاق سراح الأسيرين... هذه هي إسرائيل لمن يريد أن يتعامل معها!!

إن هذا التعامل الطائش ينّم عن غطرسة وتعنّت لا حد له، ولا نظير له في التعامل السياسي والعسكري في العالم.

وينمّ عن اللاأخلاقية وفقدان لكل القيم الأخلاقية في الحرب والسلم.

غطرسة لا حد لها، ولا أخلاقية، وفقدان للقيم الأخلاقية لا حد لها، واحتقار للآخرين لا حد له... نحن نتساءل: كيف يمكن التفاوض والتفاهم مع طرف يتعامل في الحرب والسلم بهذه الشراسة واللاأخلاقية والتعنت؟

كيف يرجو حكام العرب أن يأخذوا من إسرائيل بعض حقوقهم عن طريق التفاوض.

إن الأنظمة والكيانات العربية الحاكمة تعطي لإسرائيل في هذه المفاوضات (شرعية الاحتلال والعدوان)، دون أن تأخذ من

إسرائيل شيئاً قط.

والمنهج الوحيد الواقعي للتعامل مع إسرائيل هو منهج (المقاومة).

لقد عرفت المقاومة اللبنانية والفلسطينية الإسلاميتين بأية لغة تخاطب إسرائيل.

وهذه اللغة هي اللغة الوحيدة التي تفهمها إسرائيل، وهذا المنطق هو المنطق الوحيد الذي تستوعبه إسرائيل، وتتقبله وتخضع له.

وعبثاً يحاول حكام العرب أن يكسبوا ثقة إسرائيل واحترامها، ليتعاطوا معها بعض الحقوق والمكاسب في ظل الاعتراف بشرعية إسرائيل، وتطبيع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية وتبادل السفراء والقائمين معها.

إن الأنظمة العربية في وهم كبير، ويرتكبون خطأ تاريخياً كبيراً في هذا المنهج الذي يسيرون عليه في التطبيع والتفاوض، والمنهج الصحيح للتعامل مع إسرائيل هو المقاومة الذي تسلكه المقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان، والانتفاضة التي يتبناها الشارع الفلسطيني إزاء العدوان الإسرائيلي.

ورحم الله الإمام الخميني، لقد أدرك من تعنت إسرائيل

وغطرستها وحالتها العدوانية التوسعية ما لم يدركه الكثير من حكام العرب، فأعلن للمسلمين في خطاباته السياسية إن كل حركة للتفاوض والتفاهم مع إسرائيل لا تجدي نفعاً للمسلمين، وأن إسرائيل تزداد شراهة وعدوانا يوما بعد يوم.

والموقف الوحيد هو العمل على إزالة إسرائيل من الخارطة السياسية للشرق الأوسط.

فليستوعب الأمريكان ربيبتهم إسرائيل في ولاية من ولاياتهم، إذا شاءوا... فما دامت إسرائيل قائمة في الشرق الأوسط، فهي (غُدّة سرطانية) في المنطقة، كما كان يقول رحمه الله، وتبقى المنطقة متأججة، ولا تذوق طعم السلم أبداً... ولو أن المسلمين كانوا يوحدّون موقفهم وقرارهم لم تكن إسرائيل قادرة أن تبقى في المنطقة وتمارس عدوانها بهذه الصورة من الهمجية، ولم يكن بوسع أمريكا ولا أوروبا أن تدافعا عن الكيان الصهيوني الذي زرعاه في هذه المنطقة، ولم تذق المنطقة طعم السلام منذ قامت إسرائيل إلى اليوم.

ولكن مصيبة المسلمين في الأنظمة التي تحكمهم، إلا القليل منها، وسوف تبقى هذه المصيبة ما بقيت هذه الأنظمة.

المشروع الأمريكي الجديد في الشرق الأوسط

الشرق الأوسط الجديد:

لا اعلم إن كانت هذه الكلمة معروفة قبل تصريح (رايس) وزيرة الخارجية الأمريكية أبان الحرب القائمة بين حزب الله وإسرائيل أم لا؟

فقد جاءت (رايس) إلى لبنان لتطالب بإنهاء دور حزب الله في جنوب لبنان، وتجريده من السلاح، وتطبيع العلاقة اللبنانية الإسرائيلية، وتنفيذ قرار مجلس الأمن، بتجريد سلاح حزب الله، بناءً على تفسيرها هي لكلمة الـ (الميلشيا) الواردة في نص قرار مجلس الأمن، وتبشر في خطابها بـ (الشرق الأوسط الجديد).

وتستوقفنا هذه الكلمة وتدعونا إلى وقفة تأمل وتفكير.

إن المسألة تدخل في الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة وليست فلتة لسان.

إن المقصود بـ (الشرق الأوسط الجديد) واضح لمن يعرف كيف تفكر رايس... إنها تريد من هذه الكلمة: أن يبقى الاحتلال الإسرائيلي في المنطقة العربية الإسلامية على أراضي الجولان

ومزارع شبعا والأراضي الفلسطينية... ولا تبقى المقاومة.

وبين هذا الإيجاب والسلب نفهم ما تريده رايس من هذه الكلمة

ولكي نفهم مصداقية (الشرق الأوسط الجديد)، بوضوح أكثر يجب أن نرجع بالذاكرة إلى المستجدّات السياسية التي حصلت في هذه المنطقة الحساسة خلال الـ ٢٥ سنة الأخيرة.

لقد تعرضت المنطقة خلال هذه الفترة لعدّة هزات سياسية قوية، غيرت شيئاً كثيراً من الخارطة السياسية للشرق الأوسط.

وكان أولى هذه الهزات ما حدث قبل ٢٥ سنة في إيران، لقد غيرت الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني رحمه الله الخارطة السياسية في الشرق الأوسط، وخرجت إيران بالكامل من قبضة النفوذ الأمريكي، وحدث ارتباك شديد في المشروع السياسي الأمريكي في المنطقة، واقتدحت الثورة الإسلامية شرارة الثورة في كل المنطقة، في العراق، وفلسطين، وأفغانستان، ولبنان...

ورغم كل المحاولات الأمريكية، لم تتمكن أمريكا من إستعادة إيران إلى حوزة نفوذها من جديد.

وكانت الشرارة الثانية في لبنان وقيام المقاومة الإسلامية اللبنانية لاستعادة الجنوب اللبناني من إسرائيل، وانتصار المقاومة

أخيراً على إسرائيل، وانسحاب إسرائيل من الجنوب اللبناني.

وكانت الشرارة الثالثة في العراق، ولابد من تفصيل وإيضاح لهذه النقطة التالية.

قاعدة الهلال

لقد كان النظام العراقي مرشحاً للسقوط... ولم يُعد يشك من كان يتتبّع أحداث العراق قبل السقوط في حقيقتين:

الحقيقة الأولى: أن النظام التكريتي أصبح هشاً ضعيفاً في معرض السقوط، ولم يُعد بإمكان النظام الأمني الحديدي الذي أسّسه حزب البعث في العراق أن يقاوم سخط الجمهور وثورة الغضب في الشارع العراقي كثيراً... وهذه هي الحقيقة الأولى.

والحقيقة الثانية: إن المعارضة الإسلامية هي أقوى البدائل المرشحة للقيام مقام النظام الذي أرهقته الحروب والمغامرات والحماقات التي ارتكبها صدام مرة بعد أخرى.

وكانت هاتان الحقيقتان لا تخفيان على غرف الرصد الأمريكية... وكانت النتيجة واضحة لدى الأمريكان، إن سارت الأمور على طبيعتها، فسوف يسقط نظام صدام لا محالة، وسوف يحل الإسلاميون محل صدام ونظامه في الحكم في العراق،

والإسلاميون ـ كما هو معروف ـ حالة سياسية مستعصية على النفوذ الأمريكي.

كل هذه الحقائق كانت تستقطب الاهتمام الأمريكي. فكان لابد من تغيير سريع لمجرى الأحداث... والآلية الوحيدة التي تغيّر مجرى الأحداث، ويحوّل السلطة في العراق من صدام إلى الأمريكان، هي أن يقوم الأمريكان أنفسهم بإسقاط صدام، لتتحول السلطة من قبضة صدام إلى قبضة الأمريكان، مباشرة، من دون العبور بالشارع العراقي، فينتهي كل شيء، ويصبح الأمريكان وعملاؤهم البدائل الشرعية لنظام صدام... وهذه خطة دقيقة محكمة، إن سارت الأمور على ما يرومه الأمريكان في تحويل مجرى الأحداث من البديل الإسلامي إلى البديل الأمريكي.

وعلى هذا الأساس تمّ سقوط نظام صدام على يد الأمريكان مباشرة، ووضع الأمريكان أيديهم على كل شيء.

غير أن الأمريكان لم يحسبوا حساباً لحضور الإسلاميين الواسع في العراق، وثقة الشارع العراقي بالمرجعية الدينية والإسلاميين، وثقة المرجعية الدينية في الإسلاميين **أولاً**، وقدرة الإسلاميين في العراق على التعاطي السياسي مع الأمريكان،

وقدرتهم على المرونة السياسية في التعامل مع الأمريكان في سلامة من دينهم وكرامتهم واستقلالهم **ثانياً**.

وقد كانت هذه النقطة موضع نقاش كثير في صفوف الإسلاميين، فكان رأي أكثرهم أنّ حضور الإسلاميين في مواقع الحكم والقرار، وإن كان في دائرة النفوذ الأمريكي أفضل من الغياب... وعلى هذا إستقر موقف الإسلاميين من الحكم في العراق، وكان رأي المرجعية الدينية في هذه المسألة إيجابية، وهو أمر أساسي في هذه المسألة.

والنتيجة التي حصلت من هذه وتلك: إن الإسلاميين سجلّوا حضوراً جيداً في مواقع القرار والحكم، وانتخبهم الناس، ووضعوا أمريكا أمام أمر واقع، وبدأوا يضغطون على أمريكا بالانسحاب من العراق... وهكذا وجدت أمريكا نفسها في مقلب سياسي، لم تكن تحسب له حساباً من قبل.

صحيح أن القوات الأمريكية تجول في الشوارع والطرق بمدرعاتها، وتجوب سماء العراق بطائراتها العسكرية، ولكن الأحداث كانت تتفاعل بسرعة في الشارع العراقي، باتجاه رفض حضور الأجنبي وسيادته في العراق، والمطالبة بانسحابه، أو على

الأقل بجدولة الانسحاب في فترة قصيرة على الأقل، وحصلت مواجهات مسلّحة كثيرة في الشارع العراقي ضد الحضور الأمريكي، وكانت غرف الرصد الأمريكية بتجاربها الكثيرة في هذا الميدان تتوقع قيام مقاومة مسلحة ضد الحضور الأمريكي في العراق في وقت قريب.

مثلث العصيان

وعلى هذا المنوال تتكامل الأطراف الثلاثة للعصيان السياسي للنفوذ الأمريكي في إيران والعراق ولبنان.

صحيح أن الجيوش الأمريكية لا تزال تجوب أرض العراق وسماءه، ولكن الأمريكان يعرفون جيداً إن هذه الحالة لن تدوم طويلاً، وأمريكا لا تستطيع أن تضحّي بأكثر مما ضحّت من أبنائها (٢٦٠٠ جندي أمريكي) إلى حين كتابة هذه السطور على الأقل و(المليارات من الدولارات)... والشعب الأمريكي لا يتحمل تضحيات وخسائر أكثر من أبنائه وخزانته في العراق، وعليه فان الوضع السياسي في العراق ينذر الأمريكان بالشر، ويقرع أجراس الإنذار، ويعتبر الأمريكان العراق منذ اليوم ضمن (مثلث العصيان): (إيران والعراق ولبنان).

وهذا المثلث، هو الحالة التي نبّه الأمريكان إليها ملك الأردن عبد الله، وعبّر عنه بـ (الهلال الشيعي)، وانتقد فيها السياسة الأمريكية في المنطقة، وحذّر الأمريكان من مغبّة السماح للإسلاميين في العراق للوصول إلى مواقع الحكم والقرار في العراق...

وهو نفسه الحالة التي انتقدت فيها الخارجية السعودية الأمريكان على خططهم السياسية في العراق وفي المنطقة.

إن طرفي هذا الهلال المستعصي على الإرادة الأمريكية إيران ولبنان، وقاعدته المقعرة العراق.

ومشكلة (مثلث العصيان) أن الولاء في هذا المثلث ليس للأمريكان. وهذه نقطة خطيرة بالنسبة إلى الأمريكان في المنطقة.

وقد عبّر (حسني مبارك) عن هذه الحقيقة نفسها بطريقة أخرى، فقال ـ في المقابلة التي أجريت له ـ: إن العراقيين ولاؤهم لإيران... وهو تعبير سياسي ذكي عن مسألة أخرى، وهي أن الأمريكان لا يحوزون على ولاء الحكام العراقيين الجدد بالضرورة، وأنّ مواقع النفوذ والقرار في العراق ـ في مرحلته الجديدة بعد صدّام ـ خرجت عن دائرة النفوذ الأمريكي، وهو تعبير ذكي ودقيق ـ كما قلت ـ يثير حساسيّة الدول العربية

وحساسية الأمريكان، غير أن حسني مبارك لم يقدّر أن هذه الكلمة سوف تغضب العراقيين، أيّما غضب.

وعلى نحو الإجمال، هذا هو مثلث العصيان والرفض للإرادة الاستكبارية الأمريكية في الشرق الأوسط، وهو أمر يهم الأمريكان كثيراً... ويدركونه جيداً.

وما انتبه إليه الملك عبد الله في الأردن والخارجية السعودية، وحسني مبارك في مصر لا تخفى على الأمريكان، غير أنه خفي على القيادات الأردنية والسعودية والمصرية أن أمريكا قبلت بهذا الحلّ في العراق مكرهة، ولم تجد أمامها خيارات أخرى لتختارها عليه، وان الإسلاميين في العراق وصلوا إلى مواقع الحكم والقرار من منطلق الأمر الواقع، وليس من منطلق الخيارات التي تختارها أمريكا للعراق، وليس من مصلحة أمريكا أن تلجأ إلى الأسلوب الصدامي في فرض إرادتها بالحديد والنار... فإنها سوف تستعجل ـ في هذه الحالة ـ بالمقاومة المسلحة العراقية الشرسة، التي لا تطيقها أمريكا... ويصدق على أمريكا في هذا الخيار أنها (مكرهة وليست بطلة).

ومهما يكن من أمر فقد حصل تغيير أساسي منذ ٢٥ سنة في الخارطة السياسية للشرق الأوسط... وهذا التغيير يجري على

خلاف الإستراتيجية الأمريكية بالتأكيد... ولابد من عمل جاد وتخطيط لإحباط (مثلث العصيان) في الشرق الأوسط، وهذا التخطيط هو الذي تشير إليه كونداليزارايس (حمّالة الحطب)، وزيرة الخارجية الأمريكية عندما وجدت أن الجيش الإسرائيلي، بكل تجهيزاته تلقى صفعات قوية من جانب حزب الله... فأعلنت عن القرار الأمريكي في رسم خارطة الشرق الأوسط من جديد، وسمته بـ (الشرق الأوسط الجديد).

الآليات الأمريكية لإحباط مثلث العصيان

فما هي الآليات الأمريكية الاستكبارية لإلغاء (مثلث العصيان) من الخارطة السياسية للشرق الأوسط.

إن من يتتبع الأوضاع السياسية في المنطقة، والخطاب الأمريكي لا يشق عليه أن يعرف الآليات الأمريكية المفضلة لتذليل هذا المثلث وإلغائه في الشرق الأوسط.

الآلية الأولى:

لقد واجهت أمريكا وحلفاؤها إيران بالتهديد باستخدام القوة، واللجوء إلى مجلس الأمن لفرض حصار اقتصادي شديد على إيران، إن لم تستجب إيران، بتعطيل برنامجها النووي، وشفعت

هذا التهديد بحزمة من المرّغبات الاقتصادية، كما يخدع الناس الأطفال بقطع الحلوى... وتلقّت أمريكا صلابة الموقف الإيراني في المضي قُدُماً في مشروعها النووي السلمي... ولا يزال المشروع النووي الإيراني موضع صراع عنيف بين الجمهورية الإسلامية من جانب وأمريكا وحلفائها من جانب آخر.

ولا تزال أمريكا تهدد إيران باستخدام القوة العسكرية من ناحيتها أو من ناحية إسرائيل، بضرب المفاعل النووي الإيراني، وتحويل الملف الإيراني إلى مجلس الأمن لفرض الحصار الاقتصادي والجوي على إيران، إذا أصرت إيران على موقفها الصلب من تخصيب اليورانيوم... وكان في حسبان أمريكا أن تذلل بهذا التهديد الموقف الإيراني، وتلجئها إلى تعطيل مشروعها النووي، ثم يتعقب هذا التنازل مراحل جديدة من التنازل، ويتم ترويض واحتواء الموقف الإيراني الصعب بهذه الصورة.

غير أن أحداً لا يستطيع أن يقدّر بصورة علمية نجاح الآلية الأمريكية في تذليل الموقف الإيراني الرافض لإيقاف مشروعه النووي... هذه الآلية الأولى لتقرير الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة.

الآلية الثانية:

والآلية الثانية لتعطيل (العملية السياسية في العراق) هي الإرهاب. والإرهاب الذي يجري في العراق حالة مبرمجة ومخططة لتعطيل العملية السياسية، وإعادة الناس الذين خرجوا إلى الشارع لتقرير مصيرهم السياسي إلى بيوتهم من جديد. وقوام هذا الإرهاب (التطرف الديني) و(حزب البعث) و(الأمريكان) وهذه هي الأضلاع الثلاثة لمثلث الإرهاب، وأمريكا المحركة الرئيسية لحزب البعث والتطرّف الديني في ممارسة الإرهاب في العراق.

ولسنا بصدد شرح هذه النقطة، فان الأدلة على تورط الأمريكان في مسألة الإرهاب في العراق كثيرة، والإرهاب سيؤدي بالضرورة إلى تعطيل الخدمات التي تقدمها الحكومة للناس. وبذلك فان الأمريكان يلعبون بورقتين خطيرتين في هذا القمار السياسي، وهما الإرهاب وتعطيل أو تقليص الخدمات... والأمريكان يوسعون كل يوم دائرة الإرهاب وتعطيل الخدمات الضرورية للناس، أكثر من ذي قبل، وبذلك يضعون الحكومة المنتخبة من قبل الناس، والمؤيدة من قبل المرجعية في وضع حرج شديد الحراجة، يُنُذر بالفوضى والشغب، وهذا هو الذي

يطلبه الأمريكان بالذات من الإرهاب وتعطيل الخدمات.

والفوضى الشعبية والشغب الذي يراهن عليه الأمريكان في الشارع العراقي هو الفرصة الذهبية التي يطلبها الأمريكان لإقامة حكومة جديدة تحت عنوان (الإنقاذ الوطني)، يتولى فيها عملاء أمريكا الحكم في العراق، وعندئذ يمنع الأمريكان مشاهد الإرهاب وحوادث التفجير في العراق، ويوفّرون الخدمات للناس بشكل يرضي الناس، وتعود الحياة إلى حالتها الطبيعية.

هذا هو التخطيط الأمريكي لإلغاء الحكومة التي انتخبها الناس وأيدتها المرجعية.

ولكن في تقديرنا نحن، وهذه قراءة من الداخل، أن الشعب العراقي لن يدخل في المشروع الأمريكي، ولن ينفد صبره وسط أعمال الإرهاب وضعف الخدمات.

ولن تملك الطبقة التي تعتمدها أمريكا في أعمال الشغب والفوضى في العراق هذه القدرة التي تمكّن أمريكا من إسقاط الحكومة واستبدالها بـ(حكومة الإنقاذ الوطني).

الآلية الثالثة:

والآلية الثالثة التي تستخدمها أمريكا لتعطيل مثلث العصيان في الشرق الأوسط تجريد حزب الله في لبنان من سلاحه، وتبديله

إلى مجموعة سياسية عاطلة عن السلاح، فتفقد دورها في مقاومة إسرائيل، وهو كل شيء في قيمة حزب الله، واستصدرت أمريكا قراراً من مجلس الأمن بتجريد الميليشيات من سلاحها، إلا أن هذا القرار لم يقو على تجريد المقاومة الإسلامية من سلاحها... وكان المشروع الأمريكي الآخر لتجريد سلاح حزب الله أن يتم ذلك على يد القوات الإسرائيلية مباشرة.

وقد رأينا كيف أحبط الله المشروع الأمريكي، وهزم الله الجيش الإسرائيلي هزيمة منكرة، على يد حزب الله.

هذه هي الآليات الأمريكية الاستكبارية للقضاء على مثلث العصيان في الشرق الأوسط، وترويض إيران والعراق ولبنان للإرادة الأمريكية.

وأمريكا تفرغ من إعادة رسم خارطة الشرق الأوسط الجديد على الأرض، وليس على الورق، يوم تحتوي بشكل كامل الموقف الإيراني والعراقي واللبناني، فهل تقوى على ذلك؟

إننا نشك في سلامة وعقلانية الخطة الأمريكية في الشرق الأوسط شكاً كثيراً، ونعتقد إن ملك الأردن كان على حق، عندما خاطب إسرائيل، بعد أن أعلنت إسرائيل الحرب على حزب الله، قائلاً:

إنها بتعنتها وغطرستها أعطت فرصة ذهبية لظهور ظاهرة (حزب الله) في كل مكان، في عمان، والقاهرة، وبغداد، والجزائر، والدار البيضاء، واليمن...

وأن أمر حزب الله لم يَعد بعدُ هذه الحرب تقتصر على جنوب لبنان فقط، وسوف نشهد ولادة حزب الله في كل مكان.

مجلس الأمن

ماذا يفعل المسلمون بمجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، وهما خاضعان بالكامل لنفوذ أمريكا، وبعد ذلك لنفوذ الدول الأربعة الأخرى صاحبة قرار الرفض في مجلس الأمن.

إن ملياراً وثلاثمائة مليون مسلم لا شأن لهم في قرار الرفض في مجلس الأمن، ويختص هذا القرار بالدول الكبرى فقط... وبإمكان أمريكا وحدها، أن توقف رأي ١٨٠ دولة مشاركة في هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن باستخدام (الفيتو: حق الرفض)، فلا يستطيع مجلس الأمن أن يصنع شيئاً بعد ذلك.

وقد افتتح كوفي أنان سكرتير مجلس الأمن الجلسة الأخيرة التي قررت وقف أطلاق النار بعد ٣٣ يوماً يحترق فيه لبنان تحت قصف إسرائيل بهذه الكلمة الموجعة:

قال في افتتاح الجلسة، وأنا لا اذكر نص الكلمة وإنما انقل مضمونها: إنني أكون خائناً لمسؤوليتي في مجلس الأمن ـ إذا لم أسجل هنا خيبتي في هذا المجلس، إن لبنان يحترق بالنار منذ ٣٣ يوماً، ومجلس الأمن لم يتمكن أن يتخذ قراراً لوقف إطلاق النار.

لقد اجتمع مجلس الأمن خلال هذه الفترة أكثر من مرة، وكان المجتمعون يقررون وقف إطلاق النار في لبنان فوراً.

ولكن أمريكا وحليفتها بريطانيا لوحدهما كانا يرفضان القرار، ويوقفانه.

وبإمكان أمريكا وحدها أن توقف قرار مجلس الأمن، فماذا يصنع المسلمون بمجلس الأمن هذا؟

وهذا السؤال جاد، ليس فيه تعجيز ولا تحدي، وإنما فيه دعوة للمسلمين إلى أن يفهموا جيداً قيمة هذه المؤسسة الدولية، ودورها، وحظّها من الحياد والانحياز تجاه أمريكا خصوصاً، وتجاه سائر أنظمة الاستكبار العالمي عموماً.

كان لبنان يحترق تحت القصف الإسرائيلي، ونزح مليون إنسان في لبنان إلى الأردن وسوريا، سكنوا المدارس، والمساجد، وبيوت الناس، وأكثر من ١٥،٠٠٠ داراً تهدمت على ما فيها من الناس والأثاث، وتهدمت البنى التحتية في لبنان من الجسور

ومحطّات الكهرباء ومخازن الماء والوقود والمستشفيات وشبكات الهاتف، وجرت مجزرة قانا السيئة الصيت في هذه الأيام، وانتفض الضمير الإنساني، في كل مكان لقصف قرية قانا على يد الطيارين الإسرائيليين بهذه الطريقة الهمجية.

وكان القصف والتخريب والقتل والمجازر البشرية يومئذ على أشدّها.

واجتمع مجلس الأمن، ولم يتمكن من وقف إطلاق النار!! ولم يتمكن من إدانة هذه الهمجية الإسرائيلية على اقل التقادير!!... ولم يتمكن من إدانة إسرائيل في مجزرة قانا التي هزت الضمير الإنساني في كل مكان!!

فماذا يفعل المسلمون بمجلس الأمن؟

ولو أن المسلمين علّقوا علاقاتهم بمجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة إنقاد لهم هذا المجلس الاستكباري البتة...

ولكن ما الحيلة، وقرار المقاطعة والمتابعة والرفض والتسليم ليس بأيدي جماهير المسلمين، وإنّما يتحكم فيه الحكام الذين باعوا كل شيء لأنظمة الاستكبار العالمي، حتى ضمائرهم.

إن مصيبتنا في حكامنا أكبر من مصيبتنا بأمريكا ومجلس الأمن وإسرائيل.

إن انحصار قرار الرفض(الفيتو) في الدول الخمسة فقط أكبر إحتقار توجهه المنظمة الدولية إلى المسلمين والعرب جميعاً، ولكننا للأسف، تطّبعنا على هذا الاحتقار، حتى عدنا لا نشعر به.

إن الأسرة الدولية الكبيرة بحاجة إلى منظمة دولية تعبرّ عن رأي الأسرة الكبيرة، وليس فقط عن إرادة وموقف أنظمة الاستكبار العالمي.

ولم تعد المنظمة الدولية الحاضرة قادرة على أداء هذا الدور العادل في العلاقات الدولية.

ولو أن المسلمين قاطعوا هذه المنظمة الدولية لسقطت المنظمة المنحازة، وفقد الاستكبار العالمي آلية دولية من أعظم آليات الاستكبار في علاقاتها مع الأنظمة المستضعفة، مسلمين وغير مسلمين.

ولكن ماذا نفعل إذا كنا نحن بأيدينا نعطي الشرعية لهذه المنظمة المنحازة التي تمارس أقبح أنواع الظلم والإمتهان والإحتقار بحق مليار وثلاثمائة مليون مسلم.

إن مجلس الأمن يحتكر الشرعية والقوة والقرار لصالح دول الاستكبار الخمسة لضرب من تريد أمريكا ضربه، وإدانة من تريد إدانته، والتغاضي عن عدوان من تريد التغاضي عنه.

وسوف يأتي اليوم الذي يعجب ويأسف فيه أبناؤنا من الجيل القادم لرضوخنا المعيب، ومشاركتنا الضعيفة الموهونة في مجلس الأمن، ويتساءلون ماذا دهى آباءنا حتى قبلوا بكل هذا الإحتقار والإمتهان في علاقاتهم الدولية.

أو ليس الله قد أعزهم بالإسلام ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[١] فلماذا تقبلوا كل هذا الامتهان من المنظمة الدولية المنحازة.

التضليل الإعلامي

للإعلام الدور الأول في تضليل الرأي العام في قضايانا السياسية وتستخدم أنظمة الاستكبار العالمي الإعلام أداة فعالة قوية في تضليل الرأي العام وتحريفه.

والإعلام اليوم علم، يدرس في الدراسات العليا، ومهمة هذا العلم في أنظمة الاستكبار العالمي: إبطال الحقوق وإحقاق الباطل، وتقريب البعيد وإبعاد القريب، وتشويه صورة الصديق حتى نراه عدواً، وتجميل صورة العدو حتى نراه صديقاً.

(١) المنافقون: ٨

ويدخل الإعلام في معركتنا الحاضرة في العالم الإسلامي عنصراً أساسياً، لا غنى لنا عنه، وجزءاً أساسياً في المعركة.

ومن أعجب ما شاهدنا من التضليل الإعلامي من قبل أنظمة الاستكبار العالمي في حرب الأسابيع الخمسة التأكيد على الدور الإيراني والسوري في هذه المعركة.

وهو أمر غريب، فقد كانت الدّبابات الإسرائيلية المتطورّة تحترق، واحدة بعد أخرى، تحت وابل صواريخ حزب الله، وتسجّل إسرائيل هزيمة بعد هزيمةّ في جنوب لبنان، وفي الحدود الفلسطينية(المحتلة) ــ اللبنانية، وتسجل المقاومة الإسلامية أروع الأمثلة في البطولة والبسالة والشجاعة... أجل في وسط هذه الانتصارات والهزائم كان الإعلام الغربي الاستكباري، يشغل الرأي العام بالتمدد الإيراني في العالم العربي، ولبنان، وحزب الله.

وكان للإعلام الأمريكي الدور الأول في قيادة هذه الحملة الإعلامية ضد إيران والملف النووي الإيراني وضد سوريا... ومن وراء الإعلام الأمريكي والغربي حشد من الإعلاميين عندنا الذين كانوا يرددون الإعلام الأمريكي، على هيئة الببغاء... من غير تفكير في ماهية هذه الحملة.

وكانت غاية أمريكا من هذه الحملة الإعلامية ضد إيران أمرين اثنين:

الأمر الأول: تحريف الرأي العام العالمي والعربي عن هزائم إسرائيل، وإبراز بؤر استقطاب أخرى عديدة للرأي العام، تلهي الناس وتشغلهم عن هزائم إسرائيل في مقاتلة حزب الله، وحفظ ما يمكن حفظه من ماء وجه إسرائيل في هذه الهزائم المتكررة التي ألحقها بها حزب الله.

ولست اعرف على التحقيق إن كان هذا الإعلام نفع إسرائيل في ستر عوراتها في هذه المعركة أم لا، ولكن أعلم أن أمريكا وإسرائيل كانتا مصرتين على إدخال الحالة الإيرانية في هذه المعركة بأي ثمن لتحقيق هذه الغاية.

والأمر الثاني: الذي كان يطلبه الأمريكان في هذه الحملة الإعلامية، تسقيط إيران، وتشويه الوجه الإيراني في العالم العربي، وتأليب العرب والأنظمة العربية ضد إيران، وتحضير الحالة الإعلامية والنفسية في العالم وفي المنطقة لضرب المفاعل النووي الإيراني وضرب البنى التحتية الإيرانية، على يد إسرائيل، أو بالسلاح الأمريكي مباشرة.

ومن عجب أن الإعلام الغربي والعربي، في المنطقة كان يتغاضى عن التدخل العسكري المباشر لأمريكا في العالم الإسلامي ـ على هيئة الاحتلال العسكري، في أفغانستان والعراق، وعلى مرأى ومسمع من العالم، وهو أقبح أشكال التدخل وأشنعها.

... وكان يتغاضى عن المشروع الأمريكي الذي تصرح به أمريكا، على لسان وزيرة خارجيتها، في إعادة رسم (الشرق الأوسط) وتجديد هيكليته السياسية، تحت عنوان (الشرق الأوسط الجديد).

... وكان يتغاضى عن التدخل الأمريكي العسكري في ليبيا وفي السودان وفي الخليج.

... وكان يتغاضى عن التهديد الأمريكي السافر لإيران في مشروعه النووي السلمي، ولسورية... وأمثال ذلك، ثم يقوم هذا الإعلام في المنطقة وفي الغرب بإبراز الدور الإيراني في هذه المعركة.

وأكبر اتهام إيران في هذه القضية أنها تُسلح حزب الله وتموّله، وتمكنه من إسرائيل.

ولست ادري مدى صحة هذا الإتهّام، ولكن هذا الاتهام

يُشرّف إيران، في المعركة القائمة بين الإسلام والصهيونية العالمية... وكان ينبغي أن يقوم بهذا الدور قبل إيران الأنظمة العربية، اللصيقة بهذه القضية، وأن يصطفوا مع (حزب الله) و (حماس) في مواقعهم الصعبة والصلبة.

ولست أدري أن كان رجال الإعلام الذين يبثون هذا الكلام يُقدّرون أن الجمهور الذي يتلقىّ هذا الإعلام يعجب من هذا الكلام (الفارغ) من كل قيمة وحقيقة أم لا؟

إن إبراز مثل هذا الإعلام إلى الناس نحو من الإحتقار لعقول الناس وامتهانهم... والناس يدركون هذا المعنى.

إن من اكبر أخطاء الإعلاميين إحتقار عقول الناس، بهذا الحد، واعتقادهم بأن الناس يصدّقون بكل ما يصلهم من الإعلام.

إن الجمهور يفهم ويدرك، وليس كما يعتقد رجال الإعلام موضعاً للاستهلاك الإعلامي فقط.

لقد كان الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله (حفظه الله) صريحاً تجاه الإعلاميين عندما طرحوا عليه ما يذكره الإعلام من أن هذه العملية كانت بتوجيه الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولتخفيف الوطء عن الملف النووي الإيراني... قال لهم السيد حسن نصر الله مستنكراً: نحن نُعرّض أعزائنا للقتل، ونعرض بيوت

أهلنا في لبنان للتخريب، ونتسبّب في نزوح مئآت الآلاف من الناس من بيوتهم من اجل أن نخفّف الوطء عن الملف النووي الإيراني!!!

هذا كلام سخيف، وغير مسؤول وإحتقار لعقول الناس.

إن هذا السخف الذي وصف به السيد الإعلام المضلّل (الأمريكي والإسرائيلي) ومن يجري مجراهم من الإعلاميين، يدركه الناس جيداً، ولا يغيب عنهم.

ويبقى إننا لا نملك إعلاما قوياً بقوة الإعلام المضاد حتى نكشف للرأي العام ما يحمله هذا الإعلام من التضليل السياسي والاحتقار لعقول الناس.

ومهما يكن من أمر، فإن علينا أن نُفكّر بجدّ في المسالة الإعلامية، فأنها اليوم جزء لا يتجزأ من المعركة، وما لم نمتلك إعلاماً قوياً يُقدّم إضاءات كاشفة للأحداث السياسية التي تمر على العالم الإسلامي لا نستطيع أن نزيل الظلمات الإعلامية التي تزحف علينا من الغرب.

الفهرس

الأعداد المطبوعة من سلسلة الثقافة الإسلامية

١٠ ـ دروس عن الثقافة الإدارية والقيادية في الإسلام.
١١ ـ العلاقة مع إسرائيل.
١٢ ـ وقفة مع الدكتور الشيخ البرّاك استاذ جامعة ام القرى بمكّة المكرّمة.
١٣ ـ أدب التعامل مع الخطاب الإلهي.
١٤ ـ الفئات المعارضة لخروج الحسين عليه السلام.
١٥ ـ مناقشة الفهم الآخر لعاشوراء.
١٦ ـ حضور القلب في الصلاة.
١٧ـ الشعائر والشعارات الحسينية (القسم الأول).
١٨ـ الشعائر والشعارات الحسينية (القسم الثاني)
١٩ـ اللّقاء بين الحوزة والجامعة.
٢٠ ـ لبيك داعي الله.
٢١ـ الفصل بين الدين والدولة
٢٢ـ المباني الفقهية للمقاومة المسلحة: مقاومة الإحتلال
٢٣ـ المباني الفقهية للمقاومة المسلحة: مقاومة الحكومات الظالمة

٢٤ـ الجسور الثلاثة
٢٥ ـ في علاقة النصر بالله تعالى في ساحة المعركة
٢٦ـ المذهب التاريخي في القرآن
٢٧ـ مع العبد الصالح ذي النون في رحلة العودة إلى الله
٢٨ـ على طريق ذات الشوكة
٢٩ـ حدود الله وتخطي حدود الله
٣٠ـ الفقه والمعاصرة
٣١ـ دروس من سورة الشرح
٣٢ـ أربعة بصائر في سورة العصر
٣٣ـ شيعة أهل البيت عليهم السلام
٣٤ـ سنّة التعميم
٣٥ـ الفتنة والفرقان
٣٦ـ الاتجاهات والملامح العامة للنظام الإسلامي
٣٧ـ العصم
٣٨ـ الشهادة والشهود
٣٩ـ الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام
٤٠ـ دور الليل والنهار في حياة الإنسان

٤١ـ ميراثان في كتاب الله تعالى
٤٢ـ الولاء والبراءة
٤٣ـ نظرية العلاقة الزوجية في القرآن الكريم
٤٤ـ الصراط
٤٥ـ علاقة الإنسان الذاتية في القرآن
٤٦ـ مفردات الولاء والانتماء إلى أهل البيت عليهم السلام
٤٧ـ الإصر والأغلال
٤٨ـ العجب
٤٩ـ الحب الإلهي في أدعية أهل البيت عليهم السلام
٥٠ـ الاستعاذة

من منشورات مجمع أهل البيت عليهم السلام ـ العراق
مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام ـ العراق / النجف الأشرف